ملف المستقبل
سري جدا!!

لهيب الرعب

126

نبيل فاروق

Looloo
www.dvd4arab.com

ملف المستقبل

فى مكان ما من أرض (مصر) ، وفى حقبة ما من حقب المستقبل ، توجد القيادة العليا للمخابرات العلمية المصرية ، يدور العمل فيها فى هدوء تام ، وسرّية مطلقة ؛ من أجل حماية التقدُّم العلمى فى (مصر) ، ومن أجل الحفاظ على الأسرار العلمية ، التى هى المقياس الحقيقى لتقدّم الأمم .. ومن أجل هذه الأهداف ، يعمل رجل المخابرات العلمية (نور الدين محمود) ، على رأس فريق نادر ، تم اختياره فى عناية تامة ودقة بالغة ..

فريق من طراز خاص ، يواجه مخاطر حقبة جديدة ، ويتحدّى الغموض العلمى ، والألغاز المستقبلية ..

إنها نظرة أمل لجيل قادم ، ولمحة من عالم الغد ، وصفحة جديدة من الملف الخالد ..

ملف المستقبل .

د. نبيل فاروق

١ ـ الواحد للكل ..

انطلقت صفارات الإنذار تشقّ سكون الليل ، فى المنطقة المحيطة بالمستشفى العسكرى الجديد ، وتحرّك رجال أمنه فى سرعة ، لتطبيق خطة الطوارئ الاحتياطية ، فتم إغلاق كل مداخل ومخارج المكان ، وسرى تيار كهربى بقوة عشرة آلاف فولت(*)، فى كل الأسوار المحيطة به ، وأضيئت أنوار كاشفة قوية ، فى الحديقتين ، الأمامية والخلفية ، وفى الممرين الجانبيين ، اللذين انتشر فيهما فريق من الرجال المسلحين ، وصدرت الأوامر ، عبر مكبرات الصوت ، المنتشرة فى المكان كله ، بإغلاق عنابر وحجرات المرضى ، وإخلاء ممرات المستشفى ، إلا من الحد الأدنى والحتمى من

(*) الفولت : الوحدة العملية للقوة الدافعة الكهربية وفرق الجهد ، وهى قوة الدفع الكهربائى ، أو فرق الجهد ، التى تنتج تيارًا مقداره أمبير واحد ، حينما تؤثر تأثيرًا ثابتًا على موصل مقاومته الكهربية أوم واحد .

العاملين ، ومنع أية تحركات غير ضرورية ، مع تشغيل كل آلات المراقبة والفحص ، فى المكان كله ..

وفى توتر ملحوظ ، وصلت (مشيرة محفوظ) ، مديرة ورئيس تحرير جريدة (أنباء الفيديو) إلى المكان ، ولم تكد توقف سيارتها ، على بعد ثلاثة أمتار من المدخل ، طبقًا للوحة الإرشاد ، التى تم زرعها ، فور بدء تطبيق خطة الطوارئ ، حتى قفزت منها ، وهرعت إلى رئيس طاقم حراسة البوّابة الرئيسية ، هاتفة :

ـ أريد أن أدخل .. زوجى راقد فى غيبوبة عميقة هناك ..

رفع الرجل يده يصدّها فى حزم صارم ، وهو يجيب :

ـ مستحيل يا سيّدتى .. الدخول والخروج محظوران تمامًا الآن .

صاحت فى غضب :

ـ كيف تجرؤ على منعى .. إننى (مشيرة محفوظ) .. رئيسة تحرير (أنباء الفيديو) .. أشهر جريدة مرئية ، فى القرن الحادى والعشرين .

أجابها الرجل فى صرامة :

ـ هذا سبب أكثر وجاهة ، لمنعك من الدخول ، فى مثل هذه الظروف ، يا سيّدة (مشيرة) .

احتقن وجهها فى غضب ، وهى تهتف :

ـ هذا دأبكم دائمًا أيها العسكريون .. لماذا تصرُّون على إحاطة كل شئونكم بالسرية والغموض ؟! لماذا لا تكشفون الحقائق للشعب ؟!

ارتسمت ابتسامة ساخرة على شفتى الرجل ، وهو يقول :

ـ سأنقل اقتراحك هذا للقيادة يا سيّدة (مشيرة) .

احتقن وجهها أكثر ، من فرط الغضب ، فاندفعت نحوه فى حدة ، هاتفة :

ـ إننى أصرّ على الدخول .

لم يتحرّك الرجل من مكانه ، وظلّ واقفًا بقامته المفرودة ، وكفيه المعقودتين خلف ظهره ، فى حين تحرّك رجاله فى سرعة ، وارتفعت مدافعهم الليزرية فى وجه (مشيرة) ، التى شهقت فى فزع ، وتراجعت مذعورة ، فابتسم هو فى شماتة ، وقال فى صرامة :

- وأنا أصرّ على عدم دخولك يا سيّدة (مشيرة) ، ولدى أوامر صريحة بإطلاق النار مباشرة ، وبلا مواربة ، عند أية محاولة لكسر تعليمات الأمن ، مهما كانت شخصية المقتحم أو مكانته ، فأرجوك ألاتجبرينى على تنفيذ الأوامر .

كان الغضب المعربد فى أعماقها قويًا عنيفًا ، إلا أن امتزاجه بخوفها وجزعها على المصير الغامض لزوجها (أكرم) ، جعلها تقول بلهجة شبه متوسّلة :

- اسمع يا هذا .. ربما كانت أوامرك صارمة حازمة ، فى هذا الشأن ، ولكن زوجى بالداخل ، يواجه ذلك الخطر ، الذى صدرت بشأنه هذه الأوامر ، وكل ذرة فى كيانى تشعر بالخوف والهلع من أجله .. أرجوك .. أريد الاطمئنان عليه بأى ثمن .

كان لأسلوبها هذا أثر عجيب على الرجل ، على نحو أبرز معدنه الأصيل ، ومصريته التلقائية الموروثة ، عندما تلاشت ابتسامته الساخرة الظافرة على الفور ، وبدا عليه ارتباك متعاطف ، وهو يشير لرجاله بخفض أسلحتهم ، قائلاً :

- صدقينى يا سيّدتى .. لو أن الأمر بيدى ، لما تردّدت لحظة واحدة فى السماح لك بالدخول ،

والاطمئنان على زوجك ، ولكننى أقسم لك إن الأوامر لا تقبل المناقشة أو الاستثناء ، فى مثل هذه الظروف ، مهما كانت الأسباب .. صدقينى .

زفرت فى مرارة ، وهى تتمتم :

- إننى أصدّقك .

وتراجعت فى أسى ، عائدة إلى سيارتها ، وعقلها يتساءل : تُرى لماذا كل هذا ؟!

ما الذى يحدث هنا ؟!

انطلقت التساؤلات فى عقلها ، وهى تحاول الربط بين الموقف الحالى ، وإصابة (سلوى) فى الصباح ..

والواقع ، وعلى الرغم من جهلها التام بالأمر ، أن ما يحدث أمامها ، فى تلك اللحظة ، كان نتيجة مباشرة لما أثار خوف وقلق وتوتر جهاز المخابرات العلمية كله ، فى ذلك الصباح ..

فلقد بدأ الأمر بكُرَة ..

كُرَة من النار ، اقتحمت أحداث اليوم بغتة ، لتطارد (رمزى) فى إصرار وشراسة عجيبين ، وهى تشتعل بلهب أخضر مخيف ..

وحاول (رمزى) الفرار ..

حاول .. وحاول .. وحاول ..
ولكن الكرة النارية لم تخسر معركتها ..
لقد هاجمت ..
وانقضّت ..
وأصابت الهدف ..
بمنتهى العنف ..

وفى غيبوبة غامضة عميقة ، سقط (رمزى) ، الذى عجز الجميع عن تفسير ما أصابه ، وراحوا يدرسون حالته بمنتهى الدقة ، وخاصة (نور) ورفاقه ، الذين تم حل فريقهم بقرار متعسّف للقائد الأعلى الجديد ، للمخابرات العلمية المصرية ، ونائبه ورئيس مركز الأبحاث التابع له ، الدكتور (جلال) ..

ثم أصيبت (سلوى) بكرة نار ثانية ..
وسقطت بدورها فى غيبوبة عميقة ..

وهنا راح (نور) و (أكرم) و (نشوى) يقاتلون بكل قوتهم ، فى محاولة لكشف لغز وغموض كرة النار ، التى تحصدهم واحدًا بعد الآخر ..

وبسبب الروح العدوانية ، التى تواجههم بها الإدارة ، واضطرارهم للعمل ضد القانون ، تصوّر

الثلاثة أن ما يحدث هو محاولة داخلية للقضاء عليهم ..

حتى تعرّض مركز الأبحاث العلمية لهجوم عنيف ، من مخلوق عجيب ..

مخلوق فضائى ، يمتلك القدرة على التحوُّر الجينى ، الذى أتاح له انتحال هيئة أحد علماء المركز ، بكل تكوينه الظاهرى ، وسماته الجينية ، ليجتاز كل فحوص واختبارات الأمن ، دون أن ينكشف أمره ..

عندئذ أدرك الجميع ، وعلى رأسهم القائد الأعلى والدكتور (جلال) ، أن العالم كله يواجه خطرًا جديدًا ..

خطر غزو آخر ، قادم من الفضاء الخارجى ..
غزو قد ترزح الأرض كلها بثقله ، كما حدث من قبل(*).

ولأن الأمر لم يعد يحتمل المزيد من الصراعات ..
أو حتى الخلافات ..
كان من المحتم أن تعود الأمور إلى نصابها ..

(*) راجع قصة (الاحتلال) .. المغامرة رقم (٧٦) .

وأن يعود (نور) وفريقه إلى العمل ..

ولكن بعد فوات الأوان ..

لقد سقط (أكرم) أيضًا ، وصار الموقف بالغ الخطورة ..

إلى أقصى حد ..

ولم تنته المفاجآت ، أو تتوقف عند هذا الحد ..

لقد ظهرت مركبة فضاء مجهولة ، نسفت بلا رحمة ، فريقًا من فرق البحث ، التابعة للمخابرات العلمية ، قبل أن تختفى تمامًا ، فى صحراء (مصر) الغربية ..

وفى الوقت ذاته ، قام ذلك المخلوق الفضائى بهجوم آخر ..

هجوم على المستشفى العسكرى ، حيث يرقد (أكرم) و (رمزى) و (سلوى) ، فى غيبوبتهم الغامضة العميقة ..

وحتى عندما حسم (نور) ذلك الهجوم ، وأوقع بالفضائى ، باغتته مفاجأة أكثر عنفًا ..

مفاجأة كشفها الدكتور (حجازى) ، وهو يقوم بتشريح جثة ذلك المخلوق ..

ذلك الذى لم يكن سوى شخص آلى عجيب ، يجمع فى تكوينه بين الدوائر الإليكترونية ، والخلايا الحية ..

وفى نفس اللحظة ، التى انكشفت فيها هذه الحقيقة المخيفة ، ظهرت كرة نار جديدة ..

وانقضّت بنفس العنف والإصرار والشراسة ، على هدفها الجديد ..

على (نور) ..

المقدّم (نور الدين محمود) ..

ولقد حاول (نور) أن يتفادى ذلك الهجوم الرهيب ..

حاول بكل قوته ..

ولكن الكرة النارية أطلقت لهيبها ..

وانتصرت مرة أخرى ..

وهكذا سقط الفريق كله ..

فيما عدا (نشوى) ..

وكان عليها أن تتصدّى وحدها لذلك اللهيب المخيف ..

لهيب الرعب(*).

★ ★ ★

(*) لمزيد من التفاصيل ، راجع الجزء الأول .. (كرة النار) .. المغامرة رقم (١٢٥) .

لم يكن من الممكن أبدًا أن تتراجع (مشيرة) أو تستسلم ..

لم يكن هذا يناسب طبيعتها أو تكوينها ..

ثم إن زوجها كان خلف تلك الأسوار ، وهى تجهل كل شىء عما أصابه ..

لذا ، فقد اتخذت قرارًا حازمًا ..

صارمًا ..

مجنونًا ..

وبكل هذه المشاعر ، عادت إلى سيارتها ، وجلست خلف عجلة القيادة ، وهى تلتقط نفسًا عميقًا ، ملأت به صدرها ، قبل أن تغمغم فى حزم :

ـ فلتعلم يا (أكرم) أننى أفعل هذا من أجلك .

ثم أدارت محرك السيارة ، مستطردة :

ـ من أجلك وحدك .

قالتها ، وضغطت دواسة الوقود ، وانطلقت بسيارتها لثلاثة أمتار ، ثم انحرفت بها بغتة ، ووثبت نحو واحدة من سيارات الأمن ..

وانطلقت من حلقها صرخة قوية ، تردّدت فى المكان كله ، وهى تتخلّى عن عجلة القيادة ، وتخفى وجهها بذراعيها ..

وارتطمت سيارتها بسيارة الأمن فى عنف ..

وطارت فى الهواء ، على نحو مخيف ، و (مشيرة) تواصل إطلاق صرختها ، التى امتزجت برنة رعب قوية ، والسيارة تتجاوز ساحة الانتظار الكبيرة ، ثم تهوى خارجها ، وترتطم بالأرض فى عنف ، وتنقلب على جانبها ، ثم تزحف فى هذا الوضع لثلاثة أمتار أخرى ، قبل أن تتوقّف ، وإطاراتها تدور حول نفسها فى قوة :

ـ وهتف مسئول الأمن برجاله :

ـ أسرعوا لإخراجها ، قبل أن يشتعل خزان الوقود .. أسرعوا .

لم يغادر مكانه ، طبقًا للأوامر ، ولكنه تابع ببصره ، فى قلق بالغ ، فريقًا من رجاله ، أسرعوا نحو السيارة المقلوبة ، وراح بعضهم يخرج (مشيرة) منها ، فى حين انهمك البعض الآخر فى إطلاق أسطوانات الإطفاء نحو السيارة ، لمنع وقودها من الاشتعال ..

وفى الوقت ذاته ، وإثر اتصال عاجل من مسئول الأمن ، انطلقت سيارة إسعاف صغيرة ، تعبر حديقة

المستشفى العسكرى ، وتجاوزت البوّابة ، ليحمل رجالها (مشيرة) على محفة خاصة ، وأحدهم يهتف :

ـ لقد فقدت وعيها .. أسرعوا إلى حجرة الطوارئ .. هيّا .

وعلى الرغم من اهتمامهم الواضح ، وفحصهم السريع الممتاز لها ، إلا أن أحدًا منهم ، على الرغم من خبراتهم الطويلة ، لم يلمح تلك الابتسامة السريعة ، التى جرت على طرف شفتى (مشيرة) للحظة واحدة ، وهم يحملونها إلى داخل المستشفى ..

كانت الآلام تملأ جسدها ، وتسرى فى كيانها كله ، ولكن كل هذا اختفى تمامًا ، خلف شعورها بالانتصار ، ولهفتها لإجابة ذلك السؤال ، الذى جعلها تهرع إلى المستشفى العسكرى ، بعد منتصف الليل ..

تُرى ماذا يحدث ، خلف تلك الأسوار ؟!

ماذا ؟!

★ ★ ★

من العجيب أنه ، وعلى الرغم من كل ما حدث ، فإن (نشوى) لم تذرف دمعة واحدة ، وهى تقف

عند باب الحجرة ، التى تم نقل والدها إليها ، تراقب الأطباء ، الذين راحوا يبذلون قصارى جهدهم فى يأس ؛ لإنقاذه من تلك الغيبوبة ، التى عجزوا عن إخراج رفاقه منها ..

وفى حنان ، ربّت الدكتور (حجازى) على كتفها ، هامسًا :

ـ اطمئنى يا بنيتى .. كل شىء سيصبح على ما يُرام بإذن الله .

أدارت إليه عينين خاويتين ، وتطلّعت إليه لحظة ، بدت خلالها كالمغيّبة عن الوعى ، قبل أن تعيد عينيها إلى والدها ، متمتمة :

ـ بإذن الله .

شعر الدكتور (حجازى) بقلق عارم نحوها ، فربّت على كتفها مرة أخرى ، قائلاً :

ـ أفرغى انفعالاتك يا ابنتى .. ابكى .. اصرخى .. افعلى أى شىء ، ولكن لا تقفى ساكنة هكذا .. أفرغى توتراتك ومشاعرك كلها ، من أجل صالحك ، وإلا انهارت أعصابك دفعة واحدة .

عادت تدير عينيها إليه ، وقالت فى صرامة وحزم ، لم يكن يتوقعهما قط :

– لا يمكن أن تنهار أعصابى الآن يا دكتور (حجازى) .. اطمئن .

اتسعت عيناه فى شىء من الارتياع ، قبل أن يقول :

– (نشوى) .. لا تفعلى هذا بنفسك يا بنيتى .. الأطباء سيتولون أمر الجميع ، وهناك علاج لهذه الحالة حتمًا ، و ...

قاطعته بغتة ، عندما أحاطت أصابعها بمعصمه فى قوة ، وجذبته خارج الحجرة فى عنف لم يعتده منها أبدًا ، وما إن أصبحا على مسافة ثلاثة أمتار من الحجرة ، حتى واجهته فى توتر شديد ، وهى تقول فى حزم عجيب ، وأسلوب قيادى مدهش :

– اسمع يا دكتور (حجازى) .. أعلم أن الموقف يبدو عنيفًا عصبيًا ، من الناحية التى تنظر منها إليه ، حتى إنك تخشى أن تنهار أعصابى ، أو أسقط للحاق بالجميع ، ولكن هذا خطأ .. خطأ وألف خطأ .. فالتى تقف أمامك الآن ليست (نشوى نور الدين) ، ابنة قائد الفريق ، وزوجة خبيره النفسى ، التى رأت أقرب الناس إليها يتساقطون وينهارون أمام عينيها ،

ويرقدون فى أربع حجرات متجاورة ، فى قسم العناية الخاصة ، الذى يعجز أكبر خبرائه وإخصائييه عن تفسير أو علاج ما أصابهم .. كلا يا دكتور (حجازى) .. إنها ليست كذلك أبدًا .

ثم شدّت قامتها ، مستطردة بلهجة جعلت قلبه يخفق فى قوة :

– التى تقف أمامك الآن هى (نشوى) .. آخر من تبقّى من فريق (نور) ، بكامل الوعى والإدراك ، وهذا يعنى أن قيادة الفريق قد انتقلت إلىّ ، طبقًا للتدرج القيادى الطبيعى ، ويعنى أيضًا ، وهذا هو الأهم ، أن مصير الجميع صار معلقًا بعنقى ، ورهن مسئوليتى .

والتقطت نفسًا عميقًا ، لتسيطر على الانفعال المتفجّر فى أعماقها ، قبل أن تضيف فى صرامة حازمة :

– هل علمت الآن لماذا لا يوجد وقت للانهيار العصبى ؟! لأن أى انهيار يعنى أن يفقد الفريق كله آخر أمل له فى النجاة ، بعد الله (سبحانه وتعالى) .. الفريق الذى يضمّ أبى ، وأمى ، وزوجى ، وأفضل صديق لى ، فى العالم كله .

حدّق الدكتور (حجازى) فى وجهها لحظة ، بدهشة وانفعال بالغين ، قبل أن يقول فى حزم :

ـ فهمت .

ثم استطرد فى حماس :

ـ والآن ، ما الخطوة التالية فى رأيك ؟! هل سنبحث عن العلاج لتلك الغيبوبة الغامضة ؟!

أجابته فى حزم :

ـ أنت قلتها يا دكتور (حجازى) .. الأطباء سيتولون هذا الأمر أفضل منا ، لذا فعلينا أن نتولّى الأمور ، التى نجيدها أفضل منهم .

سألها فى اهتمام :

ـ مثل ماذا ؟!

ارتطم السؤال بكيانها ، وفجّر حيرتها وتوتراتها إلى أقصى حد ..

نعم .. مثل ماذا ؟!

ما الذى يمكن أن تبدأ به بحثها ، فى مثل هذه الظروف ؟!

كيف يمكن أن تتولّى مسئولية رهيبة كهذه ؟!

كيف ؟!

صحيح أنها تبذل قصارى جهدها ، إلى الحد الذى جعلها تبدو قوية متماسكة ، أمام الدكتور (حجازى) ، إلا أن واقعها ، الذى تشعر به فى كل خلية من خلاياها ، كان يختلف تمامًا ..

كانت حائرة إلى حد الضياع ..

وخائفة إلى حد الفزع ..

وأمام سؤال الدكتور (حجازى) ، قفزت كل تلك المشاعر إلى السطح ، وأفصحت عن نفسها فى ملامحها ، وأطلّت فى عناد من عينيها ..

والتقط الدكتور (حجازى) الرسالة ..

واستوعبها بخبراته الطويلة ، وعلمه الغزير ..

ثم لخّصها فى أعماقه ، بحكمته البالغة ، وهو يميل نحوها مكملاً فى بساطة ، وكأنه لم يلق سؤالاً منذ لحظات :

ـ أعتقد أن أفضل وسيلة ، لبدء مهمة عسيرة كهذه ، هى أن نتساءل :

ـ تُرى ماذا كان (نور) سيفعل ، فى ظروف مماثلة ؟!

هتفت فى حماس ، متشبّثة بعبارته :

ـ بالضبط .

ثم هزشت رأسها فى توتر ، متابعة :

ـ نعم .. ما الذى سيفعله أبى ، فى موقف كهذا ؟!

اتعقد حاجباها بضع لحظات ، فى تفكير عميق ، وهى تطرح السؤال ذاته على نفسها ألف مرة ومرة ..

ما الذى يمكن أن يفعله (نور) ، فى موقف بلغ هذا الحد من التعقيد ؟!

إنه سيلتقط حتمًا طرف خيط ..

أى خيط ، يمكن أن يقوده إلى الحقائق والمعلومات رويدًا رويدًا ..

السؤال إذن هو : أين طرف الخيط هذه المرة ؟!

أين ؟!

لم تدر ما الذى دار فى ذهنها بالضبط ، خلال تلك الأجزاء الضئيلة من الثانية ، ولكنها وجدت نفسها تقول فى حزم :

ـ دعنا نلق نظرة على بقايا ذلك الآلى .

ولا أحد يمكنه أن يتصوّر كم شعرت بالارتياح ، عندما هتف الدكتور (حجازى) فى حماس شديد :

ـ بالضبط .. هذه هى الخطوة الصحيحة .

لم تمض دقائق خمس على عبارته ، حتى كان كلاهما يقف أمام البقايا المحترقة ، التى بلغت حد الذوبان تقريبًا ، لما كان منذ قليل شخصًا آليًا متطوّرًا ، لا مثيل له على الأرض كلها ..

وفى توتر ، قالت (نشوى) :

ـ من الواضح أن الأمر مدروس بعناية فائقة ، بحيث لا نضع أيدينا على دليل واحد ، يمكن أن يقود إلى حل غموض الموقف .

هزّ الدكتور (حجازى) كتفيه ، قائلاً :

ـ لقد ذاب ذلك الشىء ، حتى صار من المستحيل الحصول على أى شىء منه ، وبالذات الوصلات الخاصة ، بين الأجزاء الآلية والخلايا الحيوية ، التى تم صنعه منها .

عضت شفتيها فى توتر ، وهى تتطلّع إلى بقايا الآلى ، وعادت تتساءل : أين يمكن أن تجد طرف خيط آخر إذن ؟!

أين ؟!

كان السؤال يعربد فى أعماقها بقوة ، عندما اخترق أذنيها صوت صارم حازم ، يقول :

عضت شفتيها فى توتر ، وهى تتطلّع إلى بقايا الآلى ، وعادت تتساءل : أين يمكن أن تجد طرف خيط آخر ؟!

ـ سيّدة (نشوى) .. هل لى أن أسألك : ماذا تفعلين هنا ؟!

استدارت مع الدكتور (حجازى) إلى مصدر الصوت ، فى حركة حادة سريعة ، ووقع بصرهما على الرائد (أيمن) ، وهو يدلف إلى المشرحة ، وخلفه أفراد فريقه ، الذين انتشروا فى المكان فى سرعة عجيبة ، وهو يتقدّم نحو (نشوى) ، مستطردًا بنفس الصرامة الحازمة :

ـ المفترض أن هذه المنطقة تخضع لسلطة المخابرات العلمية ، فى الوقت الحالى ، و ...

قاطعته (نشوى) فى غضب :

ـ هل نسيت أننى أحد أفراد المخابرات العلمية أيضًا أم ماذا ؟!

رمقها (أيمن) بنظرة صارمة ، قبل أن يجيب ، وهو يشير إلى أفراد فريقه :

ـ كلا .. لم أنس يا سيّدة (نشوى) ، ولكن الأوامر التى تلقيتها من القائد الأعلى شخصيًا ، منذ دقائق قليلة ، والخاصة بإحاطة هذه العملية بالسرية البالغة ، تنتهى بعبارة تقول : « دون أية استثناءات ، مهما كانت الأسباب » .

ثم مال نحوها ، مستطردًا بلهجة تحمل رنة أسف حقيقية :

ـ وأعتقد أن هذا يشملك أيضًا .

احتقن وجهها ، وهى تقول فى حدة :

ـ ولكن هذه المهمة تخصّ فريقنا أيضًا ، وطبقًا للقواعد ، فالمفترض أن تنتقل إلىّ القيادة ، بعد أن ..

قاطعها (أيمن) هذه المرة ، قائلاً :

ـ أى فريق يا سيِّدتى ؟!

بُهتتْ لسؤاله ، وللهجة المتعاطفة المشفقة ، التى نطقه بها ، فحدّقت فى وجهه ، دون أن تحر جوابًا ، فتابع هو باللهجة نفسها :

ـ أقل عدد من الأفراد ، يمكن أن يحمل لقب فريق ، هو اثنين يا سيِّدتى ، وحتى هذا القدر لم يتبقّ لديكم ، فأية قيادة تلك التى تتحدثين عنها ؟!

كانت ترغب بشدّة ، فى أن تظلّ قوية متماسكة ، فى مواجهة (أيمن) وفريقه ، الذين تحركوا بسرعة ، لنقل بقايا الآلى إلى كيس كبير خاص ، له غلاف مزدوج ، عازل للضوء والحرارة ، وإغلاقه بإحكام شديد ، إلا أن دموعها الغزيرة لم تنجح فى الاختفاء خلف عينيها ، فتسللت تسيل على وجنتيها ، وهى تقول :

ـ حاول أن تستوعب الموقف أيها الرائد .. إنها ليست بالمهمة العادية ، التى يمكنك أن تطالبنى بالتخلّى عنها بهذه البساطة .. والفريق الذى تتحدّث عنه ، ليس مجرّد مجموعة من زملاء العمل ، شاركتهم بعض المهمات والمغامرات فحسب .. إنهم أهلى .. هل تفهم ؟! كل أهلى ، الذين لا يمكن أن أتخلّى عنهم قط ، لمجرّد أن الأوامر تحتم هذا .

زفر (أيمن) فى حرارة ، متمتمًا :

ـ أعلم هذا يا سيِّدتى .. أقسم لك إننى أعلمه ، وأتفهّمه جيّدًا ، ولكن طبيعتى العسكرية ترفض عدم إطاعة الأوامر ..

غمغم الدكتور (حجازى) :

ـ ربما هناك وسيلة ما ، و ...

قاطعه (أيمن) ، وهو يكمل فى صرامة :

ـ أو التحايل عليها ، والدوران حولها .

ثم دفعها أمامه فى رفق ، لا يخلو من الحزم ، متابعًا :

ـ معذرة يا سيِّدتى .. أنا مضطر .

تفجّرت الدموع من عينيها ، فى قهر عاجز ، عندما أخرجها اثنان من فريق (أيمن) ، مع الدكتور

(حجازى) من القسم كلـه ، الذى صار يحمل شعار المخابرات العلمية ..

وفى مرارة ، هتفت :

ـ مستحيل ! لا يمكن أن أستسلم أبدًا .. لا يمكن أن أتخلّى عن الجميع ، لمجرّد أن الأوامر تحتم هذا .

غمغم الدكتور (حجازى) فى حزن :

ـ وماذا بيدنا لنفعله ؟!

هتفت بكل مرارة الدنيا :

ـ أى شىء .. أى شىء ..

ثم انفجرت باكية ، وهى تضيف فى ألم ثائر :

ـ المهم أن نفعل شيئًا .. من أجلهم .

انخرطت فى بكاء عنيف ، بعد أن فجّرت ثورتها ، وشعر الدكتور (حجازى) بمنتهى الشفقة والتعاطف مع موقفها ، فربّت عليها فى حنان ، مغمغمًا فى عجز مرير :

ـ رويدك يا بنيتى .. إننى أشعر بما تشتعل به أعماقك ، ولكننى عاجز على أن أمدّ يد المساعدة إليك .. حتى الكلمات لا تسعفنى لـ ...

اعتدلت فجأة ، وتجمّدت الدموع فى عينيها ، اللتين برقتا على نحو عجيب ، جعله يبتر عبارته ، ويتراجع

بحركة حادة ، محدقًا فيها بدهشة بالغة ، وهى تهتف فى وجهه :

ـ ماذا قلت يا دكتور (حجازى) ؟!

خُيّل إليه أنه يحدّق فى وجه (نور) نفسه ، وهو يغمغم مرتبكًا :

ـ كل ما قلته : هو أن الكلمات لا تسعفنى لـ ...

هتفت تقاطعه مرة أخرى ، فى لهفة شديدة :

ـ بالضبط .. أنت تشعر ، ولكن الكلمات لا تسعفك .

عاد يُحدّق فى وجهها بدهشة ، مغمغمًا :

ـ ماذا تعنين ؟!

برقت عيناها أكثر وأكثر ، حتى بدتا شبيهتين بعينى (نور) ، وهى تهتف :

ـ أعنى أننا قد أمسكنا به يا دكتور (حجازى) .

ولوّحت بقبضتها ، مستطردة ، بكل حزم وحماس الدنيا :

ـ أمسكنا طرف الخيط .

قالتها ، وقلبها يخفق بعنف ..

بمنتهى العنف .

★ ★ ★

٢ ـ غيبوبة ..

ارتسم مزيج من القلق والتوتر البالغين ، على وجه القائد الأعلى ، وهو يتابع التقارير الأخيرة ، الواردة من فرق المراقبة ، ثم أشار بيده إلى الدكتور (جلال) ، قائلاً :

ـ الأمر صار بالغ الخطورة بالفعل .. إنها مركبة فضائية .. لا شك فى هذا .. مركبة قادمة من مكان ما ، فى الكون الفسيح ، حاملة ما يمهّد لغزو جديد .

تنحنح الدكتور (جلال) ، وهو يقول فى توتر مماثل :

ـ لم يثبت بعد أن ...

قاطعه القائد الأعلى فى صرامة عصبية :

ـ لم يثبت ماذا يا دكتور (جلال) ؟! ألدينا تكنولوجيا متطوّرة إلى هذا الحد ؟! بل ألدى أية دولة أخرى مثلها ؟! كلا يا دكتور (جلال) .. الأمر لم يعد بحاجة إلى مزيد من الإثباتات .

تنحنح الدكتور (جلال) مرة أخرى ، قبل أن يقول ، وقد تضاعف توتره :

ـ طبقًا للمنهج العلمى المحض ، لا يمكننا نفى أو إثبات هذه الحقيقة ، دون دليل واضح .. ربما لا تكون لدينا تكنولوجيا مماثلة ، ولكن لا يمكننا الجزم بأنه لا توجد مثل هذه التكنولوجيا المتطوّرة لدى دول أخرى .. (أمريكا) مثلاً ، أو (اليابان) .. أو حتى دول الكتلة الأوروبية ، ولو كسلاح سرى يتمّ تطويره .. وربما اختباره على أرضنا .

هزّ القائد الأعلى رأسه فى حدة ، قائلاً :

ـ لا يمكننا قط نفى احتمال الغزو الفضائى .. سنضعه على قائمة الاحتمالات ، ونتخذ كل الاحتياطات اللازمة لمواجهته ، إلى أن يثبت العكس .. ألم تقرأ مضمون تلك الإشارات المنعكسة ، كما ترجمها علماء مركز الاتصالات الفضائية ؟! « كل شىء معد .. نحن فى انتظاركم .. » .. ما الذى يمكن أن تعنيه رسالة كهذه فى رأيك .. وبالذات عندما تنطلق من الأرض ، عبر جهاز بث فضائى ، إلى منطقة ما فى الكون ؟! ألا تعنى ، وبكل وضوح ، أنه هناك من يبلغ رؤساءه بأن الأرض ممهّدة للغزو ؟!

قال الدكتور (جلال) فى عصبية :

ـ لقد كانت إشارة منعكسة .

لوّح القائد الأعلى بيده ، هاتفًا :

ـ من حسن حظنا .

قال الدكتور (جلال) فى سرعة :

ـ أو من حسن تخطيطهم .

انعقد حاجبا القائد الأعلى فى شدة ، وهو يقول :

ـ ماذا تعنى ؟!

أجابه الدكتور (جلال) فى انفعال :

ـ أعنى أنه لو كنت جاسوسًا فضائيًا محترفًا ، على هذا القدر من الذكاء والبراعة والخطورة ، وأردت إرسال إشارة خاصة إلى كوكبى ، تمهيدًا لبدء حملة غزو فضائى ، فلن أقع فى خطأ انعكاس بسيط ، يمكن أن يعكس نسخة من إشارتى إلى الكوكب ، الذى ينوى قومى استعماره ، وأنا أدرك جيّدًا أن تقنيته قادرة على كشف مضمون الرسالة .

ازداد انعقاد حاجبى القائد الأعلى ، وهو يغمغم :

ـ هل توحى بأن ..

قبل أن يتمّ عبارته ، انبعث أزيز جهاز الاتصال الخاص على مكتبه ، فأشار بيده للدكتور (جلال) ،

وهو يضغط زر الجهاز فى سرعة ولهفة ، وتحرك هذا الأخير من مكانه ، فى خطوات سريعة متوترة ؛ ليلقى نظرة على الوجه ، الذى ظهر على شاشة هاتف الفيديو ، على الرغم من أن هذا يتنافى مع أبسط قواعد اللياقة والأمن ، وسمع صاحب الوجه يقول فى اهتمام :

ـ سيِّدى القائد .. لقد تم تحديد الموقع الجديد للهدف .

هتف القائد الأعلى فى حماس :

ـ حقًا ؟!

أما الدكتور (جلال) ، فقد جفّ حلقه فى لحظة واحدة ، وهو يتمتم :

ـ هل توصّلوا إلى موقع المركبة الفضائية ؟!

أشار إليه القائد الأعلى بالتزام الصمت ، وهو يسأل الرجل :

ـ أأنتم واثقون من هذا ؟!

أجابه الرجل ، فى صوت حاسم واثق :

ـ بالتأكيد يا سيِّدى .. لقد كانت أجهزة البحث والمراقبة تعمل بالفعل ، عبر الأقمار الصناعية ،

عندما نسفت تلك المركبة العجيبة فريق البحث ، مما جعل الأنظار كلها تتجه إليها ، وتتابع حركتها السريعة ، حتى اختفت وسط الصحراء ، وهنا قمنا بتحديد منطقة الاختفاء ، وفحصها بأجهزة المراقبة المقرّبة ، وأجهزة الفحص الطيفى(*)، وأجهزة الأشعة دون الحمراء ، حتى تم حصرها ، وتحديد موقعها الحالى بمنتهى الدقة ، على الرغم من اختفائها وسط أجسام شبيهة .

بدا الاهتمام البالغ على القائد الأعلى ، وهو يقول :

ـ عظيم .. لاتحاولوا استفزازها ، أو إثارة انتباهها ، بأى حال من الأحوال .. لا نريدها أن تشعر بأننا قد كشفنا أمرها .. اكتفوا بمراقبتها طوال الوقت ، والتيقّن من موضعها بمنتهى الدقة .

أجابه الرجل فى حزم :

(*) كل معدن أو عنصر فى الوجود له مقياس طيفى خاص به ، ويترك طيفًا خطيًا خاصًا ، فى مقياس الطيف (سبكتروسكوب) ، ولا يمكن أن يتشابه عنصران ، أو تتشابه مادتان ، فى ذلك الطيف الخطى ، الذى يتم بوساطته تحديد هوية معظم الأجسام الفضائية .

ـ عُلِمَ وسينفَّذ يا سيّدى .

وما إن أنهى القائد الأعلى الاتصال ، حتى سأله الدكتور (جلال) فى لهفة :

ـ ماذا تنوى أن تفعل ؟!

أجابه القائد الأعلى ، وهو يضغط أزرار هاتفه الخاص :

ـ سأجرى اتصالاً عاجلاً ، بقائد القوات الجوية .

سأله الدكتور (جلال) فى دهشة قلقة :

ـ ولماذا ؟!

أجابه القائد الأعلى فى حسم :

ـ ما دامت تلك المركبة مجهولة الهوية قد أعلنت الحرب ، فعليها أن تتحمّل كافة النتائج ، المترتبة على هذا .

اتسعت عينا الدكتور (جلال) ، وهو يهتف :

ـ ربّاه ! هل تقصد أننا سـ ...

قاطعه القائد الأعلى ، فى حزم صارم :

ـ ما الإجراء المنطقى ، الذى عليك أن تفعله ، إذا ما ظفرت بكتائب الاستطلاع الأولى للعدو ؟!

ألقى سؤاله ، فى نفس اللحظة التى ظهرت فيها صورة قائد القوات الجوية ، على شاشة هاتف الفيديو الخاص ..

بكل وضوح .

★ ★ ★

بدت الحيرة ممتزجة بالدهشة ، على وجه رئيس وأطباء قسم العناية الخاصة ، وهم يراقبون ما تفعله (نشوى) بجهاز رسم المخ الإليكترونى ، المتصل برأس والدها (نور) ، وعملها الدءوب لمد بعض الأسلاك منه ، إلى جزء خاص ، فى جهاز الكمبيوتر النقّال الخاص بها ، ثم لم يلبث رئيس القسم أن قال ، فى شىء من العصبية :

ـ سيِّدتى .. هل تدركين ما تفعلينه بالضبط ؟!

أجابته فى حزم ، وهى تواصل عملها فى اهتمام بالغ :

ـ إننى خبيرة كمبيوتر محترفة أيها الطبيب .

أجابها فى عصبية :

ـ أعلم هذا يا سيِّدتى ، ولكنك لست على دراية طبية كافية ، للتعامل مع أمر كهذا .. ماذا لو تسبَّب

ما تفعلينه فى إيذاء والدك ؟! من سيتحمّل المسئولية عندئذ ؟!

رفعت رأسها إليه ، مجيبة فى حسم :

ـ ما أفعله لا يمكن أن يؤذى والدى أيها الطبيب ، وإلا ما جرؤت على فعله قط .. كل ما هناك هو أننى سأنقل الإشارات الصادرة من مخه إلى جهاز الكمبيوتر ، الذى سيستخدم برنامجًا خاصًا جدًا ، قمت بتطويره مؤخرًا ، لحساب القسم الطبى فى مركز الأبحاث ، التابع للمخابرات العلمية .

سألها الرجل مبهورًا :

ـ أى برنامج هذا ؟!

أجابته ، وهى تواصل عملها بنفس الاهتمام :

ـ برنامج خاص بترجمة إشارات المخ ، وتحويلها إلى لغة خاصة ، يمكن للكمبيوتر ربطها بمفردات اللغات الحية المعروفة ، وتحويلها بالتالى إلى عبارات مكتوبة أو مسموعة ، تنقل ما يدور فى رأس صاحبها .

غمغم أحد الأطباء ، فى دهشة بالغة :

- ربّاه ! أهو برنامج قراءة الأفكار ، الذى قرأنا عنه فى طفولتنا(*)؟!

أشارت بسبّابتها ، قائلة :

- بالضبط .. هذه نسخة مطوّرة منه .. ولو نجحت التجربة ، ستشاهد عملها بنفسك .

التقى حاجبا رئيس القسم بضع لحظات ، وكأنما يحاول استيعاب الأمر ، قبل أن يتساءل فى توتر :

- ولماذا تفعلين هذا يا سيّدتى ؟! ما الذى تتوقعين الحصول عليه ؟!

أجابته فى حماس :

- كل شىء .

هتف معترضًا :

- مثل ماذا ؟!

توقّفت عن عملها ؛ لتجيب فى حسم :

(*) منذ أواخر الثمانينات ، يعكف العلماء على دراسة الموجات والإشارات الصادرة عن المخ البشرى ، وبالذات موجات (جاما) ، على أمل أن يتوصّلوا فى المستقبل إلى وسيلة لقراءة الأفكار إليكترونيًا ، ولقد نجحت تجاربهم إلى حد محدود ، وأمكنهم فى نهاية التسعينات أن يتوصّلوا إلى خوذة خاصة ، تنقل بعض الأوامر المحدودة ، من لابسها إلى أجهزة إليكترونية ، بمجرّد التفكير فيها .

- لتحصل على جواب سؤالك ، دعنا نستعد ثلاثة أمور بالغة الأهمية أيها الطبيب .. أولها هو نتائج فحص التوصيل ، بين أمخاخ المصابين ، وأليافهم العصبية ، والتى تشير فى وضوح إلى أن المخ يعمل فى نشاط ، ولكن الأطراف لا تتلقّى ذلك النشاط ، بسبب خلل فى التوصيل ، عند الفقرة العنقية السابعة ، مع كل ما يثيره هذا من حيرة طبية وعلمية ، والثانى هو أن شخصًا ما قد انتحل هوية عالم من علماء مركز الأبحاث ، ليختلى بزوجى وأمى ، ويحقنهما بعقار خاص ، يستخدم لانتزاع المعلومات .. ألم يسأل أحدكم نفسه ، كيف يمكن أن ينتزع المعلومات ، من أشخاص فاقدى الوعى بهذا العمق ؟!

تبادل الأطباء نظرة متوترة ، فى حين قال الدكتور (حجازى) فى حماس :

- سؤال وجيه للغاية .

هتف أحد الأطباء :

- ولكنه حقنهما بمادة مضادة على الأرجح .

سألته (نشوى) فى سرعة :

ـ هذا يطرح السؤال الآتى .. مادة مضادة لماذا ؟! للغيبوبة ، أم للإصابة الحقيقية ، التى يعانون منها ؟!

غمغم الأطباء فى دهشة :

ـ إصابة حقيقية ؟!

أما رئيس القسم ، فقال فى عصبية :

ـ سيّدتى .. أنت تجعلين الأمر يبدو فى صورة معقّدة للغاية .

أشارت بسبّابتها ، قائلة :

ـ إنه كذلك بالفعل يا سيّدى ، ولتدرك هذا ، دعنا نتجه إلى الأمر الثالث ، والذى يبدو ، فى رأيى أنا ، الأكثر أهمية وخطورة .

سألها رئيس القسم فى توتر :

ـ وما هو ؟!

أجابت فى حزم :

ـ زميلنا (أكرم) .

بدت الدهشة على وجوه الجميع ، واعتدل الدكتور (حجازى) ، متسائلاً :

ـ وماذا عنه ؟!

قالت فى سرعة :

ـ كل شىء فيه يختلف عن الآخرين .

سألها رئيس القسم ، فى اهتمام حقيقى :

ـ كيف ؟!

أجابت فى انفعال ، جذب انتباه الجميع :

ـ فى البداية كان الوحيد الذى استعاد وعيه للحظات ، بعد أن أصابته تلك المادة الكيماوية الغامضة ، بعنصريها المجهولين للجميع .. والكلمات القليلة ، التى نطق بها ، كانت عجيبة للغاية .. « ربّاه ! إنها ليست غيبوبة يا (نور) .. لقد كنت أشعر بـ ... » .. قالها ، وفقد وعيه ، ليلحق بالآخرين ، وعندما قمتم بفحص قدرة أعصابه على التوصيل ، وجدتم أنها ثلاثة أضعاف قدرتها عند الآخرين ، فما الذى يعنيه هذا بالضبط ؟!

غمغم رئيس القسم :

ـ أخبرينا أنت .

أجابت فى سرعة :

ـ يعنى أمرين بالغى الأهمية .. أوّلهما أن سقوطنا فى النيل ، بعد إصابة (أكرم) مباشرة ، قد أدّى إلى تغيّر ما فى طبيعة تلك المادة الكيماوية ، مما سمح لـ (أكرم) باستعادة وعيه لبضع لحظات .

هتف الدكتور (حجازى) :

ـ بالطبع .. إنه الماء .. ماء النيل .. سرّ الحياة .. لقد ذاب جزء كبير من تلك المادة فى ماء النيل ، مما خفّف من تأثيرها ، وجعله يستعيد وعيه لبعض الوقت .

أشارت بسبّابتها ، قائلة :

ـ بالضبط ، لقد منع الماء عملية الامتصاص الكامل للمادة ، وهذا هو الأمر الأوّل ، أما الأمر الثانى ، فهى كلمات (أكرم) نفسها ، والتى كان ينبغى أن نتوقّف عندها منذ البداية ، وخاصة عبارته الأولى ، التى تحسم الأمر كله .

وانعقد حاجباها فى حزم ، وهى تكمل :

ـ إنها ليست غيبوبة يا (نور) .

عاد الأطباء يتبادلون نظرة متوترة ، فى حين غمغم الدكتور (حجازى) فى اهتمام :

ـ هذا صحيح يا (نشوى) .. كان ينبغى أن تحسم عبارة (أكرم) الأمر منذ البداية .. لقد خاض التجربة بنفسه ، وخرج منها بضع لحظات ، ليعلن أن ما أصابه لم يكن غيبوبة بالمعنى المعروف .

قال رئيس القسم متوترًا :

ـ وهل يمكنك أن تعتمد على معلومة ، نطقها رجل مصاب ، فى ظروف كهذه ؟!

أجابته (نشوى) :

ـ بالتأكيد ، خاصة لو أضفنا إلى العبارة الأولى عبارته الثانية ، والتى قال فيها : إنه كان يشعر بشىء ما .. ألا تدركون ما الذى يعنيه هذا ؟!

أجابها رئيس القسم ، وقد انتقل إليه حماسها :

ـ يعنى أنه كان يشعر ويحس ، فى أثناء وقوعه فى تلك الغيبوبة .. أقصد فى تلك الحالة .. ليس المهم ما كان يشعر به .. المهم أنه كان يشعر ، وهذا يعنى أنها ليست غيبوبة .. ليست كذلك على الإطلاق .. رائع يا سيّدتى .. عقليتك الاستنباطية المدهشة تفوّقت علينا جميعًا .

تمتم الدكتور (حجازى) مبهورًا ، بلهجة شديدة التأثُّر :

ـ لقد أنجبت يا (نور) .. أنجبت حقًا .

أما رئيس القسم ، فقد تضاعف حماسه ، وهو يواجه باقى الأطباء ، قائلاً :

- الآن فهمت الأمر كله .. لقد أخطأنا جميعًا منذ البداية ، عندما تعاملنا مع الأمر باعتباره غيبوبة .. كان ينبغى أن نقتنع بما أشارت إليه أجهزة رسم إشارات المخ ، عندما أكدت أنه يحتفظ بنشاطه كاملاً .

تساءل أحد الأطباء فى حيرة :

- لو أنها ليست غيبوبة عميقة ، فما هى إذن ؟!

أجابه فى حزم ، وهو يشير إلى (نور) .. الراقد بلا حراك .

- حالة من الشلل الكامل ، ناشئة عن عقار مجهول .. شلل يصيب كل أجهزة الجسم ، بعد الفقرة العنقية السابعة .

قال أحد الأطباء فى دهشة :

- ولكن هذا يعنى أن الحواس الخاصة مازالت تعمل بكفاءة .

هتف رئيس القسم :

- بالضبط .

ثم عاد يشير إلى (نور) ، مستطردًا :

- ويمكننا إجراء تجربة عملية لذلك .

قالها ، واتجه نحو (نور) ، وهو يقول بنفس الحماس :

- سيادة المقدّم .. لدى اعتقاد علمى بأنك تسمعنا منذ البداية .. وتشعر بكل ما يدور حولك ، وأنك تفهم كل ما أقوله الآن ، لذا فأنا أطلب منك التعاون معنا .

قالت (نشوى) فى توتر :

- دعنى أوصل جهازى أوّلاً ، و ...

قاطعها رئيس القسم ، وهو يواصل حديثه مع (نور) ، الراقد أمامه فى سكون ، وكأنه لم يسمعها :

- امنحنا إشارة واحدة على ذلك .. ركز أفكارك ، واسترجع أية ذكريات ، تثير فى نفسك الانفعال .. ذكريات سعيدة جدًا ، أو حزينة للغاية .. المهم أن تنفعل ، وأن تنقل إلينا إشارات مخك هذا الانفعال .

تعلّقت عيون الجميع بشاشة رسّام المخ الإليكترونى ، وراحوا يتابعون إشاراته المنتظمة ، ورئيس القسم يتابع ، فى انفعال أكثر :

- هيّا أيها المقدّم .. هيّا .

تطلّعت (نشوى) مثلهم إلى شاشة رسّام المخ الإليكترونى ، وقلبها يخفق فى قوة ..

ولكن الإشارات ظلّت على انتظامها ..

ورتابتها ..

تطلّعت (نشوى) مثلهم إلى شاشة رسّام المخ الإلكترونى ، وقلبها يخفق فى قوة

وبطئها ..

وانتفض قلب (نشوى) فى عنف ..

تُرى هل أخطأت تفسير الأمر منذ البداية ؟!

هل بنت استنتاجاتها كلها على أخطاء ؟!

هل ..

قبل أن تكتمل تساؤلاتها ، اندفع أحد الأطباء إلى الحجرة بغتة ، وهو يهتف فى انزعاج :

ـ سيِّدى .. السيِّدة (سلوى) .. إنها ..

التفت إليه الجميع فى توتر ، وهتف به رئيس القسم :

ـ إنها ماذا ؟!

عجز الطبيب الشاب عن النطق لحظة ، ثم لم يلبث أن اندفع ، هاتفًا :

ـ إن حالتها تتدهور بسرعة مخيفة ، كما لو .. لو ...

واحتبس صوته ، قبل أن يكمل بصوت متحشرج :

ـ كما لو أنها تموت .

شهقت (نشوى) ، هاتفة :

ـ يا إلهى ! أمى .

واندفعت مع رئيس القسم ، وعدد من الأطباء ، إلى حجرة أمها ..

واستدار الدكتور (حجازى) ؛ ليلحق بالجميع ، ولكن أحد الأطباء أمسك ذراعه فى قوة ، وهو يهتف فى انفعال :

ـ ربّاه ! انظر يا سيّدى .

استدار الدكتور (حجازى) فى سرعة ، إلى حيث يشير الطبيب ، ولم يكد يتطلّع إلى شاشة رسّام المخ الإليكترونى ، حتى انتقل إليه انفعال الرجل فى عنف ..

هذا لأن إشارات المخ قد أصيبت بجنون ، وراحت تتقافز على نحو عجيب ..

نحو يؤكد أن (نور) ، الراقد فى صمت وسكون ، يعانى من انفعال شديد ..

شديد للغاية .

★ ★ ★

« قف .. دخول المستشفى ممنوع ، بأمر السلطات العليا .. » .

هتف جندى الحراسة بالعبارة فى صرامة ، فى وجه ذلك الرجل ، الذى تقدّم نحوه فى هدوء ، والذى

واصل تقدّمه ، وكأنه لم يسمعه ، فشهر الجندى مدفعه الليزرى ، وهو يقول فى عصبية :

ـ خطوة أخرى وأطلق فى المليان مباشرة .. هذه هى الأوامر الـ ...

قبل أن يتمّ عبارته ، تحرّك ذلك القادم بسرعة مذهلة ..

مذهلة بمعنى الكلمة ..

لقد بدا لحظة وكأنه قد اختفى من موضعه ، قبل أن يظهر بغتة ، على مسافة نصف المتر ، إلى يمين الجندى ، ثم يقبض على عنقه ، قائلاً بصوت صارم مخيف :

ـ بالنسبة لى ، كل أوامركم لا تعنى شيئًا يا هذا .

اتسعت عينا الجندى فى ذعر وألم ودهشة ، وشعر بقنبلة من اللهب تنفجر فى عنقه ، وانطلقت من حلقه شهقة لم تكتمل ، و ...

وتهاوى جثة هامدة ..

وفى هدوء عجيب ، تجاوزه ذلك القادم ، وألصق راحته برتاج الباب الإليكترونى ، فانفتح بسرعة ، وكأنما استقبل شفرته السرية ، وانفتح الباب على مصراعيه ..

وبنفس الهدوء المستفز ، سار القادم عبر الممر الصغير ، الذى يقود إلى الحديقة الخلفية للمستشفى ، وتوقّف فى نهايته ، يلقى نظرة على رجال الأمن ، الذين انتشروا فى الحديقة ، قبل أن يغمغم :

ـ سبعة عشر مترًا .. أعتقد أن الزمن سيكفى .

قالها ، وضغط بضعة أزرار فى حزامه ، فانبعث من الحزام أزيز خافت ، و ...

واختفى جسده بغتة ..

وعبر الحديقة الخلفية ، بدت آثار أقدام واضحة لكائن خفى ، تحرّك فى سرعة ، حتى بلغ مبنى المستشفى ..

ولعشرة أمتار أخرى ، داخل ممرات المستشفى ، ظلّ الغلاف الكهرومغنطيسى المحيط به يعمل بكفاءة ، ثم لم يلبث الحزام أن بعث أزيزًا آخر ، يعلن انتهاء فترة الإخفاء الممكنة ، فتحرّك الشخص فى سرعة ، ليختفى خلف حاجز خشبى ، قبل أن يعود جسده للظهور ..

كان من الواضح أن قدرته على الاختفاء محدودة ، لذا فقد بدأ يتحرّك فى حذر ، عبر الممرات المختلفة ، حتى بلغ قسم العناية الخاصة ..

وفى هدوء ، وقف يتطلّع إلى الحراسة المكثفة ، عند حجرات أفراد الفريق ، ثم غمغم فى خفوت :

ـ هل تتصوّرون أن هذا سيعيقنى ؟! يا للسخافة !

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى رأى فريق الأطباء يندفع من حجرة (نور) إلى حجرة (سلوى) ، وبصحبته (نشوى) ، ثم تبعها طبيب آخر ، مع الدكتور (حجازى) ، فتمتم :

ـ لقد بدأت الأعراض الارتجاعية .. هذا يعنى أن أتحرّك بسرعة ، قبل أن تفسد العملية كلها .

قالها ، وعاد يضغط تلك الأزرار فى حزامه ، فانبعث الأزيز الخافت مرة أخرى ..

واختفى جسده ثانية ..

وعلى شاشة صغيرة أمام عينيه ، راح مصباح خافت يومض وينطفئ ، معلنًا أن الطاقة المتوافرة لا تكفى لعملية إخفاء طويلة ، مما دعا ذلك الشخص إلى التحرّك فى سرعة ، وهو يقول لنفسه :

ـ من المؤسف أنك الشخص الوحيد ، الذى يفسد قتله العملية كلها يا (نور) .. خاصة وأننى قد قرّرت نقل الخطة إلى المرحلة التالية .

وانعقد حاجباه ، وهو يتجه نحو حجرة (أكرم) ، مكملاً لنفسه :

ـ مرحلة التصفية الجزئية .

تجاوز حارسا الحجرة فى خفة وسرعة ، دون أن يشعرا به ، فى ردائه الكهرومغنطيسى الخفى ، الذى لم يكد يتجاوز باب الحجرة ، حتى تلاشى دفعة واحدة ، مع انبعاث ذلك الأزيز الخافت من حزامه ..

وفى هدوء ، دفع الشخص باب حجرة (أكرم) ، ليغلقه فى خفة ، من خلف ظهر الحارسين ، اللذين يراقبان الممر فى حزم صارم ، ثم وقف يتطلّع إلى (أكرم) بضع لحظات ، قبل أن يقترب منه ، ويتوقّف إلى جوار فراشه ، قائلاً :

ـ أنت تسمعنى بالتأكيد أيها الهمجى .. هل تصدّق أننى انتظرت هذه اللحظة طويلاً ؟! طويلاً جدًا .. لم أكن أرغب قط فى أن أجعل منك ضحيتى الأولى .. كنت سأدخرك للنهاية .. كنت آخر من سيلقى مصرعه من أفراد الفريق ، طبقًا للخطة التى أعددتها بعناية بالغة ، طوال عامين كاملين .. (نور) وحده كان سيبقى فى النهاية ، ليحمل العار كله .. كل شىء

عنكم قرأته ودرسته بمنتهى العناية .. كل الأحداث .. كل التفاصيل .. حتى التقارير النفسية ، والعينات الحيوية الخاصة بكم .. كل شىء .. ولكن من الواضح أن الأمور لا يمكن أن تسير طبقًا لما يريده المرء .. سقوطك فى النيل أفسد كل شىء .. ولو ادخرتك للنهاية الآن ، فستفلت منى للأبد ..

وفى هدوء ، أخرج من جيبه كرة صغيرة ، وهو يتابع :

ـ لذا فسأقوم بتعديل بسيط فى الخطة .. سأنقل اسمك من نهاية القائمة إلى بدايتها ..

ورفع الكرة الصغيرة نحو رأس (أكرم) ، متابعًا فى صرامة :

ـ الوداع أيها الهمجى ..

وعلى شاشة رسّام المخ الإليكترونى ، بدا من الواضح أن تلك الكلمات الأخيرة قد أثارت ، فى أعماق (أكرم) الكثير من الانفعال ..

انفعال عنيف ..

مخيف ..

ومميت .

★ ★ ★

٣ ـ الحصـــار ..

« من السرب السابع إلى القيادة .. نحن فوق الهدف مباشرة ، وننتظر الإذن بالهجوم .. » .

انعقد حاجبا القائد الأعلى ، وسرى التوتر فى عروقه وملامحه وصوته ، وهو يقول لقائد القوات الجوية ، فى حجرة مكتب هذا الأخير :

ـ ما قولك الآن ؟!

مطّ قائد القوات الجوية شفتيه ، وهزّ كتفيه ، وهو يلقى نظرة على ساعة يده ، قبل أن يقول :

ـ الأمر لا يحتاج إلى مجرّد قول أيها القائد ، وإنما إلى قرار حاسم حكيم ، يستند إلى دراسة جيّدة ، وهذا ما لم يتوفّر لنا ، مع هذه التحركات السريعة .

هتف الدكتور (جلال) فى عصبية :

ـ ماذا تعنى ؟! هل ستتراجع عن الهجوم الآن ؟!

هزّ قائد القوات الجوية رأسه فى حزم ، قائلاً :

ـ ليست مسألة تراجع أو إقدام ، وإنما مسألة حسابات استراتيجية ومنطقية ، وهذا يحتاج إلى قرار

مشترك .. لقد أصدرت أوامرى للسرب السابع بالانطلاق ، بناء على قول قائد المخابرات العلمية ، إن الأمر لا يحتمل الانتظار ، وعند وصولكما إلى هنا ، اتضح لى أننا لا نطارد طائرة متسلّلة ، أو جيشًا يهمّ بعبور حدودنا ، وإنما نسعى خلف مركبة فضائية مجهولة ، تمتلك قدرات قتالية وتكنولوجية تفوقنا بمراحل ، ثم إننا نجهل ردود أفعالها ، إزاء الهجوم الجوى المباشر .

قال القائد الأعلى فى حزم :

ـ لقد أسفرت عن ردود أفعالها ، عندما نسفت فرقة البحث بلا رحمة .

أشار قائد القوات الجوية بسبّابته ، قائلاً :

ـ بالضبط .. وهذا يعنى أنها متحفزة لرد الهجوم بآخر عنيف ، وبتكنولوجيا متفوّقة ، وأسلحة لم تصمد أمامها فرقة البحث سوى لحظات ..

زفر القائد الأعلى ، وتراجع فى مقعده ، متسائلاً :

ـ أتخشى أن تقوم بتدمير رجالك أيضًا ؟!

أجابه الرجل ، فى سرعة وحزم :

ـ بالتأكيد .. رجال السرب السابع هم خيرة شبابنا ، وأكفأ طيارينا ، وليس من السهل أن نجازف بإرسالهم إلى مهمة نجهل عواقبها إلى هذا الحد .

هتف الدكتور (جلال) :

ـ ولكنهم فوق الهدف بالفعل .

أجابه قائد القوات الجوية فى حزم :

ـ ولن يتراجعوا قط ، حتى تصدر إليهم الأوامر بهذا .. وإذا ما كان الأمر بالهجوم ، فسينقضون ، ويقاتلون ، حتى آخر طائرة ، وآخر رجل .. ليس لدى أدنى شك فى هذا ، وهذه ليست قضيتنا .. المهم هو هل نهاجم ، أيًا كانت النتائج ، أم نكتفى بالرصد والمراقبة والحصار ، حتى يجتمع مجلس الأمن القومى فى الصباح ، ويتخذ قرارًا مناسبًا ؟

هزّ القائد الأعلى رأسه فى حسم ، ونهض من مقعده ، وشبك كفيه خلف ظهره ، وهو يقول :

ـ كلاّ أيها القائد .. لا يمكننا الانتظار للصباح .. الأحداث تجرى بسرعة ، وذلك الجاسوس الفضائى يدرك جيدًا أن أمره قد انكشف ، وأن القتال يتمّ الآن على نحو مختلف ، ولا أحد يمكنه استنتاج ردود فعله

إزاء هذا ، أو سرعة تحركاته القادمة ، وهذا يعنى أن لكل دقيقة ثمنها الآن .. بل لكل ثانية .

أومأ قائد القوات الجوية برأسه متفهمًا ، وهو يقول :

ـ وماذا لو كانت هناك مركبات فضائية أخرى ؟!

أجابه الدكتور (جلال) فى سرعة :

ـ لدينا ما يدعونا للاعتقاد بأنه لا يوجد سوى تلك .

أومأ قائد القوات الجوية برأسه متفهمًا مرة أخرى ، وعاد يلقى نظرة على ساعته ، التى أشارت عقاربها إلى الواحدة ، بعد منتصف الليل ، قبل أن يقول فى حزم :

ـ فليكن .

ثم ضغط زر الاتصال ، وقال :

ـ من القائد إلى السرب السابع .. أما زلتم ترصدون الهدف ؟!

أتاه صوت قائد السرب السابع ، وهو يجيب :

ـ إننا فوقه مباشرة أيها القائد .

بدا صوت قائد القوات الجوية قويًا ، حازمًا ، حاسمًا ، وهو يقول :

ـ اهجم .

أتاه صوت قائد السرب السابع ، وهو يقول بحزم مماثل :

ـ عُلِمَ وسينفذ يا سيّدى .

أنهى قائد القوات الجوية الاتصال ، والتقط نفسًا عميقًا ، قبل أن يرفع عينيه إلى القائد الأعلى والدكتور (جلال) ، قائلاً :

ـ أتعشم أن نكون قد اتخذنا القرار المناسب .

ولم يجب أى من الرجلين ..

بل لم ينبس أحدهما ببنت شفة ..

فقط تبادلا نظرة متوترة ، تحمل كل قلق الدنيا ..

نظرة تعنى أن ما يأمله قائد القوات الجوية ، هو نفسه ما يأمله الجميع ..

بلا استثناء ..

★ ★ ★

انتشر فريق الأطباء بسرعة مدهشة ، فى حجرة العناية الخاصة ، التى ترقد فيها (سلوى) ، وراح بعضهم يقيس معدلاتها الحيوية ، والبعض الآخر يفحص الأجهزة المتصلة بها ، ليتأكد من أنها تعمل

بكفاءة ، فى حين أنهمك رئيس القسم فى مراجعة ما سجلته أجهزة القياس الرئيسية ، وهو يقول :

ـ ربّاه ! معدلاتها تتدهور بسرعة مخيفة بالفعل .. اتخذوا الإجراءات لتنشيط القلب والدورة الدموية بأقصى سرعة ، و ...

هتف أحد الأطباء فجأة ، بصوت يشفّ عن دهشة بالغة :

ـ سيّدى .. انظر .. شاشة مراقبة الجنين .

أدار الجميع رءوسهم ، إلى حيث يشير الطبيب ، وتعلّقت عيونهم بشاشة صغيرة ، تنقل ، على نحو منتظم ، صور بالموجات فوق الصوتية ، للجنين الذى تحمله (سلوى) ، والذى بدا وكأنه يتحرك فى عصبية شديدة ، على نحو غير مألوف ، بالنسبة للأجنة البشرية على الأقل ..

وفى قلق أقرب إلى الذعر ، تساءلت (نشوى) :

ـ ماذا يحدث ؟! ربّاه ! ماذا يحدث ؟!

هزّ رئيس القسم رأسه ، فى حيرة بالغة ، وهو يجيب :

ـ لست أدرى يا سيّدتى .. صدقينى .. لست أدرى .. لقد كان الجنين فى حالة جيّدة ، منذ وصول أمك إلى

هنا ، على الرغم من إصابتها العنيفة ، وتلك المادة الكيماوية الغامضة فى دمائها ، ولست أدرى ماذا أصابه فجأة ؟! ولماذا ؟!

ثم التفت إلى أحد الأطباء ، مستطردًا فى توتر :

ـ استدع أحد كبار الإخصائيين ، من أقسام النساء والتوليد .. أريد فحص هذه الـ ...

قبل أن يتمّ عبارته ، توقّف الجنين عن تحركاته العصبية بغتة ، وعاد إلى هدوئه الطبيعى البسيط ، فى حين راح جهاز فحص الدم الدائم يرسم إشارات سريعة متزايدة ، على شاشة العرض الخاص به ، والتى حدّق فيها الجميع ، دون أن ينبس أحدهم ببنت شفة ، وكأنما أذهلهم ما يرونه إلى أقصى حد ..

الدكتور (حجازى) وحده تكلّم ، وقال بدهشة كبيرة :

ـ ربّاه ! ذلك الهرمون .. إنه يتزايد فى دمائها بسرعة مدهشة .

غمغمت (نشوى) بصوت مرتجف :

ـ أى هرمون ؟!

أجابها ، وعيناه معلقتان بشاشة الجهاز :

ـ هرمون خاص ، تفرزه المشيمة(*)، فى فترات الحمل الأولى ، ومهمته حماية الجسم من أية تدهورات ، ومنحه الطاقة اللازمة للجهد الزائد ..

سألته فى حيرة :

ـ ولماذا يتزايد إفرازه على هذا النحو ؟!

غمغم مبهورًا :

ـ بسبب حركة الجنين غير الطبيعية على الأرجح .

تمتمت :

ـ ولماذا هذه الحركة غير الطبيعية ؟!

لم يجب الدكتور (حجازى) هذه المرة ، وإنما بدا مبهورًا بحق ، وهو يشير بسبّابته إلى لوحة المعدلات الحيوية ، التى راح الجميع يحدقون فيها بذهول ..

(*) المشيمة : قرص غليظ مقوّس ، شبه لحمى ، ملتصق بباطن جدار الرحم ، ويتصل بالجنين بوساطة الحبل السرّى ، قطره حوالى (١٥ سم) ، وسمكه حوالى ($2\frac{1}{2}$ سم) ، ووزنه المعتاد فى حدود رطل واحد ، وهو عضو مؤقت ، يرتبط بفترة الحمل ، وتتخلله أوعية دموية كثيرة ، ووظيفته إجراء عمليات التبادل الغذائى والأكسجين ، بين دم الأم ودم الجنين ، كما أنه يفرز عددًا من الهرمونات ، بعضها معروف ، وبعضها مازال قيد البحث والدراسة .

فبسرعة مدهشة ، راحت المعدلات المتدهورة تتحسّن ، وترتفع أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

حتى عادت إلى ما كانت عليه ، قبل أن يحدث ذلك التدهور مباشرة ..

وفى انبهار ، اتسعت عيون الجميع ، وهبط عليهم جبل من الرهبة والخشوع ، ورئيس القسم يتمتم :

ـ سبحان الله (العلى القدير) .

ثم غمغم طبيب آخر فى انبهار :

ـ لقد أنقذها ذلك الجنين ، دون أن يدرى .

تنهّد الدكتور (حجازى) ، متمتمًا :

ـ ومن أدراك أنه لا يدرى ؟!

بدت الدهشة على وجوه الأطباء ، وهمّ أحدهم بقول شىء ما ، و ...

وفجأة ، دوى الانفجار ..

انفجار مكتوم ، ردّدته جدران الحجرة فى عنف ..

انفجار حدث فى الحجرة المجاورة مباشرة .

حجرة (أكرم) ..

★ ★ ★

كل شرّ وشراسة الدنيا أطلّ من عينى ذلك الشخص ، فى حجرة (أكرم) ، وهو يصوّب كرته القاتلة ، نحو هذا الأخير ..

لم يكن يحتاج لأكثر من ضغطة بسيطة على جدارها ، لتنطلق منها كرة من النار ..

ويتحوّل (أكرم) إلى تاريخ ..

مجرّد تاريخ لبطل سابق ، من أبطال المخابرات العلمية ..

وعلى الرغم من صمته وسكونه الظاهريين ، كان (أكرم) يعانى من انفعال عنيف ..

عنيف للغاية ..

كان يشعر ويحسّ بما حوله ، منذ أصابه ذلك الشلل العجيب ، إلا أنه لم يكن قادرًا على تحريك إصبع واحد ..

أو حتى الصراخ ..

لسانه متجمّد فى فمه ، وجفناه متثاقلان ، وحلقه مسدود بغصة كبيرة ، مع شعوره بالعجز واليأس ، إلى أقصى حد ..

مرات عديدة فى الماضى ، راوده شعور بالعجز واليأس ..

وفى كل مرة كان يتصوّر أنه لم يشعر بهما كتلك المرة ..

أما فى هذه اللحظة ، فقد أدرك أنه فى قمة اليأس والعجز ..

أعلى قمة ..

إنه يرقد مشلولاً ، متهورًا ، وذلك الوغد على قيد سنتيمترات منه ، يصوّب إليه سلاحًا قاتلاً ، ويهمّ بنسفه نسفًا ، و ...

وفجأة ، اخترق مسامعه صوت خشن ، يهتف :

- إلى أين يا سيّدتى ؟! هذا محظور تمامًا ..

ثم سمع صوت باب الحجرة يُفتح فى عنف ..

ووقع أقدام نسائية تعدو إلى الداخل ، مع صوت زوجته (مشيرة) ، وهى تهتف فى عصبية شديدة :

- لا تحاولى منعى .. زوجى يرقد هنا ، ولن ...

ثم بترت عبارتها ، لتطلق شهقة قوية ، ثم تهتف :

- ربّاه ! من أنت ؟! وماذا تفعل هنا ؟!

وانتفض قلب (أكرم) بين ضلوعه ..

بمنتهى العنف ..

وكم تمنى لحظتها لو استجاب جفناه وانفرجا ؛ ليلقى نظرة على ما يحدث ..

كم تمنى ؟!

ولكن ليس كل ما يتمناه المرء يدركه ..

أو يراه ..

ففى تلك اللحظة ، كانت (مشيرة) تواجه ذلك الشخص ، الذى بوغت بدخولها المفاجئ ، فأدار سلاحه نحوها ، ونحو رجلى الأمن ، اللذين لحقا بها ، و ...

وأطلق كرته النارية ..

وبحركة غريزية ، مالت (مشيرة) جانبًا ، وهى تطلق صرخة فزع رهيبة ..

وبفارق سنتيمترات ثلاثة ، تجاوزتها كرة النار ، وواصلت طريقها ، لترتطم بأحد رجال الأمن ، وتقتلعه من مكانه ، لتلقى به إلى الخلف فى عنف ، جعله يتجاوز ممر المستشفى كله ، ليصطدم بالجدار المقابل لباب حجرة (أكرم) ، قبل أن يسقط جثة هامدة ..

وقفزت إشارات مخ (أكرم) أكثر وأكثر ، مع صرخات (مشيرة) المتصلة ، ورجل الأمن الثانى

ينتزع مسدسه الليزرى ، ويطلق أشعته نحو ذلك الشخص ، الذى أدار كرته نحوه بسرعة أيضًا ..

وارتطم خيط الليزر بسترة الشخص ، وانعكس عنها فى عنف وقوة ، ليرتطم بالجدار ، ويصنع فيه فجوة كبيرة ..

وضغط الشخص كرته ..

وانطلقت كرة النار ..

وفى خفة ، وثب رجل الأمن جانبًا ، متفاديًا الكرة ، التى تجاوزته ، لترتطم بالجدار ، وتنفجر بصوت مكتوم ، فى نفس اللحظة التى قفز فيها رجل الأمن إلى الأمام ، وأطلق أشعة مسدسه الليزرى مرة أخرى ..

وفى هذه المرة ، أصاب خيط الليزر طرف عنق ذلك الشخص ..

وتفجَّرت الدماء ..

دماء حمراء قانية ، تناثرت على فراش (أكرم) ووجهه ..

دماء دافئة ، شعر بها البطل ، وهو يرقد صامتًا ، ساكنًا ..

عاجزًا ..

وصرخت (مشيرة) مرة أخرى ..

وارتفعت إشارات مخ (أكرم) أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

أما ذلك الشخص ، فقد أصابه الجنون ، مع إصابة عنقه ، فأطلق زمجرة قوية ، وهو يطلق معها كرة نارية جديدة ، نحو رجل الأمن ..

ومرة أخرى ، تفادى رجل الأمن كرة النار ، فى مهارة مدهشة ، وتركها تنفجر فى الجدار خلفه ..

وقبل أن يتلاشى دوى انفجارها المكتوم ، تعالى وقع أقدام رجال الأمن الآخرين ، وهم يهرعون إلى المكان ..

وتفجَّر الغضب فى أعماق الشخص ..

ووجهه ..

وملامحه ..

وحتى فى تلك الصرخة الغاضبة ، التى أطلقها ، وهو يتراجع فى سرعة ، نحو نافذة الحجرة ..

واقتحم رجال الأمن المكان ..

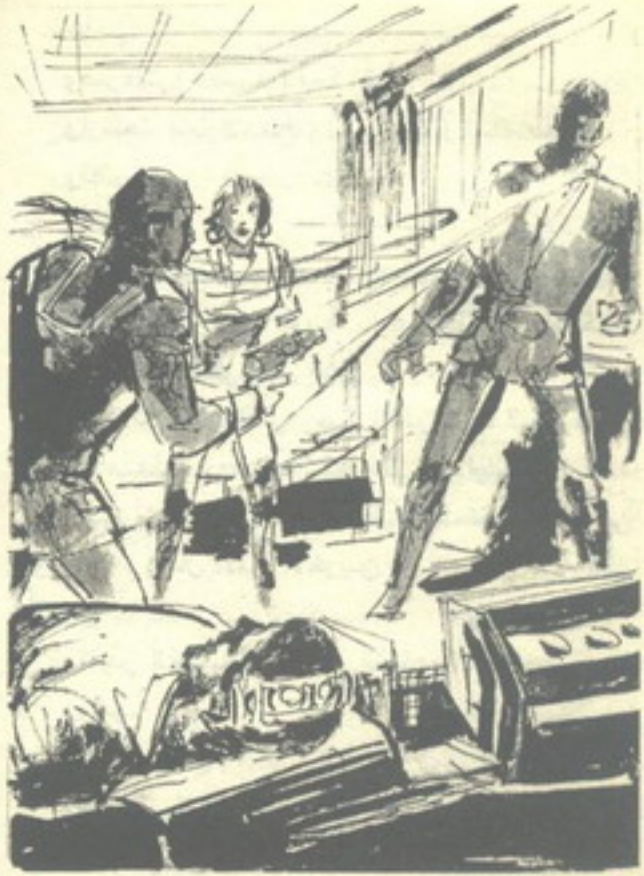

وصرخت (مشيرة) مرة أخرى ..
وارتفعت إشارات مخ (أكرم) أكثر ..

وصرخت (نشوى) :

ـ أمسكوه .. لقد حاول قتل (أكرم) .. أمسكوه .

وأطلق ذلك الشخص صرخة غاضبة أخرى ، عندما ارتفعت فوهات الأسلحة الليزرية نحوه ..

ثم وثب نحو النافذة ..

ومع انطلاق خيوط الأشعة ، حطّم جسده النافذة ، وعبرها إلى حديقة المستشفى الخلفية ..

واندفع الجميع نحو النافذة المحطّمة ، و (نشوى) تهتف من خلفهم :

ـ لا تقتلوه .. ألقوا القبض عليه فحسب .. لا تقتلوه .

وما إن ألقى رجال الأمن نظرة على حديقة المستشفى الخلفية ، التى هرع إليها رجال الأمن الخارجين أيضًا ، حتى أدركوا أن هتافها لم يكن يعنى شيئًا ..

هذا لأن ذلك الشخص ، الذى وثب أمامهم عبر النافذة ، لم يعد له وجود ..

لقد اختفى ..

اختفى تمامًا ..

★ ★ ★

« السرب السابع .. استعد للانقضاض على الهدف .. سنستخدم الخطة الخاصة (م ـ ٣٠٠) ... » .

انتقلت العبارة ، من بين شفتى قائد السرب إلى رجاله ، عبر أجهزة الاتصال المحدودة ، فدارت المقاتلات كلها دورة كاملة ، ثم اتخذت تشكيلاً أشبه برأس السهم ، وهى تنقضّ على المركبة العجيبة ، التى ربضت ساكنة وسط صخور الصحراء ، مكتفية بشكلها المموّه المتقن ..

ولكن فجأة ، بدأت أجهزة الأمن داخلها تعمل ..

ورصدت تشكيل المقاتلات ، الذى ينقضّ عليها ..

وبسرعة ، راحت أجهزتها تفحص المقاتلات ، وتدرس تكوينها ، ثم أخذت تراجعه على الأرشيف الدقيق داخلها ..

وانطلق جهاز الإنذار ، والاستعداد للقتال ..

وفى غمضة عين ، تلاشى الغلاف المموّه المحيط بها ، وانطلقت محركاتها تعمل ..

ومن بعيد ، وعبر أجهزة الرؤية الليلية ، رصد قائد السرب السابع تلك الظاهرة ، فهتف بكل قوته :

ـ الآن ..

وقبل حتى أن يكتمل هتافه ، انطلقت صواريخ المقاتلات كلها فى آن واحد ..

ونحو هدف واحد ..

وبأقصى سرعتها ، انطلقت المركبة العجيبة ، محاولة تفادى ذلك السيل من الصواريخ ، وهى تطلق كراتها النارية نحو المقاتلات ..

وانفجرت إحدى مقاتلات السرب السابع ، وتحطّم جناح مقاتلة ثانية ، فهوت فى قلب الصحراء ، وانطلق المقعد القاذف بقائدها خارجها ، فى نفس الوقت الذى تفادت فيه المركبة العجيبة أمطار الصواريخ ، فيما عدا صاروخًا واحدًا ، انفجر على قيد متر واحد منها ، مما جعلها تميل فى عنف ، قبل أن تنطلق مرتفعة ، فى محاولة للفرار ..

وفى حزم وصرامة ، هتف قائد السرب :

ـ انطلقوا خلفها .. لا تسمحوا لها بالفرار .. تشكيل ثلاثى منفصل .

انقسم السرب إلى ثلاث فرق ، راحت تطارد المركبة فى سرعة خارقة ، وانطلقت صواريخها مرة أخرى ..

وفى هذه المرّة ، تفجّرت الصواريخ أكثر قربًا ..
وارتجّت المركبة الفضائية فى عنف ..
واختلّ توازنها لحظة ..
ومالت باتطلاقتها إلى أسفل ..
ومن مدافعها الخلفية ، انطلقت كرات النار مرّة أخرى ..
وسقطت مقاتلة ثالثة ، من مقاتلات السرب السابع ..
أما المقاتلات الأخرى ، فقد انفصلت فرقها الثلاث ، إلى اليمين واليسار والمنتصف ، وانطلقت صواريخها نحو المقاتلة العجيبة ..
وكان من الواضح أن تلك المركبة ، على الرغم من قدراتها العجيبة ، لم تكن مؤهّلة لمواجهة هجوم عنيف كهذا ..
لقد تفجّرت معظم الصواريخ حولها ، مع مناوراتها القوية ..
ثم انفجر صاروخ فوق قمتها مباشرة ..
واختلّ توازنها فى عنف ، حتى إنها راحت تدور حول نفسها ..

وبسرعة تقدير تستحق الإعجاب ، هتف قائد السرب :
ـ الصواريخ الإليكترومغنطيسية .. الآن ..
وبسرعة استجابة مدهشة ، نفذ رجاله الأمر ..
وأطلقوا الصواريخ الإليكترومغنطيسية نحو الهدف ..
ومع تفجُّر الصواريخ الحديثة ، حول المقاتلة العجيبة ، ارتفعت مقاتلات السرب السابع فى سرعة ، وابتعدت بأقصى قوتها وطاقتها ..
ولوهلة ، لم تدرك أجهزة المقاتلة سر هذا الابتعاد المباغت ..
ثم لم يعد بإمكانها أن تدرك شيئًا ..
أى شىء ..
هذا لأن تلك الصواريخ الإليكترومغنطيسية ، التى تفجّرت حولها ، قد أحاطتها بموجة قوية من المجال الكهرومغنطيسى المؤقّت ، على نحو أصاب كل أجهزتها بخلل عنيف ، اختلّ معه توازنها ، فهوت على نحو مخيف ..
ومع ارتطامها برمال الصحراء ، هتف قائد السرب ، عبر جهاز الاتصال :

ـ سقط الهدف أيها القائد .

تلقّى قائد القوات الجوية الهتاف فى لهفة ، وهتف بدوره :

ـ انتقلوا إلى مرحلة السيطرة على الفور .

أجابه قائد السرب :

ـ سمعًا وطاعة أيها القائد .

وعلى شاشة المراقبة ، شاهد قائد القوات الجوية ، والقائد الأعلى ، والدكتور (جلال) ، طائرات السرب السابع ، وهى تقوم بدورة كبيرة فى سماء المعركة ، ثم تنقضّ مرة أخرى على المركبة المجهولة ، التى راحت تزحف بعنف على رمال الصحراء ، قبل أن ترتطم بكومة من الصخور ، وتتوقّف فى عنف ..

ومع ارتطامها ، عادت أجهزتها إلى العمل ، وعادت ترصد انقضاضة مقاتلات السرب السابع ، فأرسلت إشارة إليكترونية إلى نظامها الدفاعى ، الذى استعدّ لتوجيه ضربة جديدة ، و ...

ولكن مقاتلات السرب السابع أطلقت سلاحًا جديدًا .. وعجيبًا ..

لم تطلق الصواريخ ، أو مدافع الليزر ، أو حتى القنابل الموجّهة ..

لقد انطلق منها سيل من سائل لزج ، عبر مضخات قوية ، ليغمر المركبة من كل جانب ..

ولوهلة ، لم تدرك الأجهزة المتطوّرة داخل المركبة الموقف ..

إلا أنها راجعت أرشيفها بسرعة ..

وعثرت على تصنيف ذلك السلاح الجديد ..

كان مادة مغنطيسية عازلة ، مهمتها أن تعزل أى جسم إليكترونى عن الوسط المحيط ، وأن تعترض الذبذبات الإليكترونية داخله ، و ...

وكان هذا آخر ما سجّلته أجهزة المركبة المجهولة ..

ثم توقّفت كلها دفعة واحدة ..

وعبر جهاز الاتصال ، هتف قائد السرب فى حماس :

ـ تمت السيطرة على الجسم المجهول .

هتف القائد الأعلى ، عندما سمع العبارة ، فى حجرة قائد القوات الجوية :

ـ رائع .. لقد فعلها أبطالك بحق .

ولكن قائد القوات الجوية أشار بسبّابته ، قائلاً فى حزم :

ـ دعنا نتيقّن من أن كل شيء على ما يُرام ، قبل أن نبدأ احتفالنا .

ثم ضغط زر جهاز الاتصال ، قائلاً :

ـ قوموا بثلاث دورات حول المركبة ، وتأكّدوا من أن غلافنا قد أوقف كل أجهزتها عن العمل .

أتاه صوت قائد السرب ، يقول :

ـ عُلِمَ وسينفّذ .

وتطبيقًا للأوامر ، راح نسور السرب السابع يحومون حول المركبة ، التى أحاط بها غلاف أبيض اسفنجى ، وأخذ قائد السرب يقول :

ـ كل شيء يبدو على ما يُرام .. المركبة ثابتة ومستقرّة ، وأجهزتنا لا تلتقط أية ذبذبات صادرة منها .. لقد قمنا بدورة كاملة ، وكل شيء على ما يُرام .. سنبدأ الدورة الثانية على الفور ، و ...

بتر عبارته بغتة ، على نحو ارتجفت له أطراف الدكتور (جلال) ، وانعقد له حاجبا القائد الأعلى ، الذى تبادل نظرة عصبية متوترة ، مع هذا الأخير ، فى حين هتف قائد القوات الجوية ، عبر جهاز الاتصال :

ـ ماذا حدث لديك يا (نسر ـ ٧) ؟!

أتاه صوت قائد السرب ، وهو يجيب فى توتر :

ـ ربّاه ! إننا نلتقط إشارات منتظمة أيها القائد .. إشارات تبدو وكأنها تأتى من .. من ...

ازداد انعقاد حاجبى القائد الأعلى ، وهمهم الدكتور (جلال) بعبارة مختنقة غير مفهومة ، فى حين هتف قائد القوات الجوية فى توتر شديد ، عبر جهاز الاتصال :

ـ من أين يا (نسر ـ ٧) ؟! من أين ؟!

أجابه قائد السرب ، فى عصبية واضحة :

ـ إنها تزداد قوة وقربًا .

هتف قائد القوات الجوية مرة ثانية :

ـ من أين تأتى تلك الإشارات يا (س ـ ٧) .. من أين ؟!

بدا صوت قائد السرب شديد التوتر والاضطراب ، وهو يجيب :

ـ من أعلى .

ومع آخر حروف كلماته ، نقلت أجهزة الاتصال دوى انفجار قوى ..

ثم توقّف البث دفعة واحدة ..

ولم ينطق أى من الرجال الثلاثة كلمة واحدة ، أو ينبس بحرف واحد ..

ولكن عيون ثلاثتهم التقت بنظرة عجيبة ..

نظرة حملت كل ذعر وتوتر ودهشة الدنيا ..

أو ما هو أكثر ..

بكثير .

★ ★ ★

٤ ـ الكل للواحد ..

« كل ما عثرنا عليه هو حارس صريع .. » .

ألقى رئيس طاقم الأمن العبارة فى حنق ، ولوّح بذراعيه ، مستطردًا فى عصبية :

ـ ذلك الشخص اختفى تمامًا ، وكأنما تلاشى فى الهواء ، ولم يعد له أدنى أثر .. لقد فحصنا كل شبر فى المكان ، ولم نعثر له على أدنى أثر .

أجابه رئيس القسم ، فى شىء من الحزم :

ـ لقد ترك أثرًا هنا .

سأله قائد الأمن فى اهتمام :

ـ وما هو ؟!

أشار رئيس القسم إلى قطرات الدم ، التى تناثرت على وجه (أكرم) وفراشه ، وهو يجيب :

ـ ها هو ذا .

هتفت (نشوى) :

ـ آه .. دماؤه .. إنها أهم أثر يمكن أن نحظى به .

احتضنت (مشيرة) يد (أكرم) فى قوة ، تشفّ عن كل توترها ، وخوفها ، ولهفتها ، وجزعها ، وهى تقول :

ـ لقد حاول قتل زوجى .. حاول قتل (أكرم) ..

ربّت (نشوى) على كتفها ، قائلة فى تعاطف :

ـ وصولك غير القانونى أنقذ حياته يا عزيزتى .

أغمضت (مشيرة) عينيها ، وهى تتمتم :

ـ حمدًا لله .. حمدًا لله .

واحتضنت كف (أكرم) فى حنان ، متسائلة فى لهفة :

ـ كيف حاله ؟! متى سيعود إلى وعيه ، ويشعر بوجودى ؟!

تطلّع رئيس القسم إلى إشارات المخ ، التى تذبذبت على نحو واضح ، وهو يجيب فى تأثُّر :

ـ إنه يشعر بالفعل يا سيّدتى .

هتفت (مشيرة) :

ـ حقًا ؟!

ثم طبعت قبلة حانية على يد زوجها ، مستطردة :

ـ عد إلىّ يا حبيبى .. لم أعد أحتمل غيابك هذا .

ربّت (نشوى) على ظهرها مرة أخرى ، فى حين أشاح رئيس القسم بوجهه ، فى محاولة لإخفاء تأثُّره ، وهو يقول للأطباء فى حزم :

ـ هيّا .. تحرّكوا بسرعة .. احصلوا على عينة الدم هذه .. أريد فحصها بأقصى سرعة ، وأفضل وسيلة ممكنة .

تدخّل الدكتور (حجازى) ، قائلاً فى حزم :

ـ دع لى هذه المهمة أيها الطبيب ؛ فأنا شغوف بمعرفة الفصيلة ، التى ستنتمى لها دماء هذا الغريب .

غمغم أحد الأطباء فى توتر :

ـ هل تتصوّر أننى قد شعرت بالدهشة ، لأن لونها أحمر كدمائنا .

سأله الدكتور (حجازى) :

ـ ولماذا الدهشة ؟!

صمت الطبيب لحظة ، ثم لم يلبث أن هزّ كتفيه ، مجيبًا :

ـ لست أدرى .. ربما كنت أتصوّر دائمًا أن دماء المخلوقات الفضائية ستكون خضراء أو زرقاء ، أو ...

هتف أحد رجال الأمن فى دهشة مستنكرة :

ـ مخلوقات فضائية ؟! ذلك الشخص بدا لى بشريًا مثلنا !

قالت (نشوى) فى توتر :

ـ هذا ما بدا لى أيضًا .

هزّ الطبيب رأسه فى عصبية ، قائلاً :

ـ هل نسيتما أنه ينتمى لذلك المخلوق ، الذى أثار كل الرعب ؟!

أشار الدكتور (حجازى) بسبّابته ، وهو يقول :

ـ هل نسيت أنت أن ذلك المخلوق كان مجرّد تكوين آلى ؟!

مطّ الطبيب شفتيه ، وتمتم :

ـ كلاّ .. لم أنس ، ولكن كل شىء يبدو مضطربًا مشوّشًا ، ويحتاج إلى ألف تفسير لتوضيحه .

قالت (نشوى) فى حزم :

ـ وهذا يعنى ضرورة أن أعود إلى عملى الأصلى .

ثم اعتدلت ، مستطردة :

ـ مع بعض التطوير .

سألها رئيس القسم فى اهتمام :

ـ أى تطوير ؟!

أجابته ، وهى تشير إلى جهاز رسم إشارات المخ ، المتصل برأس (أكرم) :

ـ لن أكتفى بنقل وترجمة إشارات مخ أبى فحسب ، وإنما سأوصل أجهزة رسم المخ ، الخاصة بالجميع ، بجهاز الكمبيوتر الخاص بى ، عبر أربع قنوات مختلفة .

ثم تنهّدت فى حرارة ، قبل أن تستطرد :

ـ إننى أرغب فى عقد اجتماع عاجل للفريق .

بدت كلماتها عجيبة مثيرة ، فى مثل هذه الظروف ، حتى إن أحدًا من الحاضرين لم ينبس ببنت شفة ، وقد غرقوا جميعًا فى صمت مهيب ، قطعه الدكتور (حجازى) ، وهو يتمتم :

ـ معذرة أيها السادة .. أستأذنكم فى الانصراف .. إننى أرغب فى فحص عينة الدم على وجه السرعة ، وسأضطر لاستخدام أدواتى الخاصة ، بعد أن تحطّمت معاملكم ، وهذا يحتاج إلى وقت أطول .

اعتدلت (نشوى) فى حزم ، وهى تشير إليه ، قائلة :

ـ لحظة يا دكتور (حجازى) .

ثم استدارت إلى رئيس طاقم الأمن ، مستطردة بلهجة آمرة :

ـ ذلك الشخص ، أيًا كانت هويته ، يدرك جيدًا أن الدماء التى تركها خلفه ستفيدنا ، على نحو أو آخر ، وهذا يرجح أنه سيحاول منع عملية فحصها بأى ثمن ، لذا فسيكون عليك والرجال أن تحيطوا الدكتور (حجازى) بحراسة مكثفة ، وأن تعملوا على حمايته ، وحماية نتائج فحصه ، بأى ثمن كان .. استخدموا أجهزة رصد صوتية وحرارية ، ومقياس للذبذبة ، واحتفظوا بالمكان ، الذى سيجرى فيه الدكتور (حجازى) فحصه سرًا .. هذا الأمر يتعلق بأمن الدولة ، وربما بمصير الأرض كلها ، لذا فلا تترددوا فى التضحية بحياتكم نفسها ، فى سبيل منع أى عدو ، من إفشال عمل الدكتور (حجازى) هذه المرة .

كانت تتحدث بأسلوب قيادى محض ، اهتزت له أوتار مشاعر الجميع ، وجعل الدكتور (حجازى) يغمغم :

ـ لقد أنجبت يا (نور) .. حقًا أنجبت .

ثم أشار إلى قائد الأمن ، قائلاً :

ـ هيا يا رجل .. لدينا عمل مهم لننجزه .

واندفع مع طاقم من رجال الأمن خارج المكان ، فى حين التقطت (نشوى) نفسًا عميقًا ، للسيطرة على مشاعرها ، قبل أن تلتفت إلى الباقين ، قائلة :

ـ نحن أيضًا لدينا عمل لننجزه .

قالتها بنفس الحزم واللهجة القيادية ..

ولكن الواقع أن هذا كان يخفى توترًا واضطرابًا عنيفين فى أعماقها ..

ربما لأنها ما زالت تجهل ما الذى يمكن أن يقود إليه كل هذا ؟!

وكيف يمكن أن تواجه الخطوات القادمة ؟!

ومتى ؟!

★ ★ ★

تصاعدت تلك الذبذبة ، القادمة من أعلى ، وتزايدت بسرعة مخيفة ، معلنة اقتراب جسم مجهول ، من مقاتلات السرب السابع ، التى راحت أجهزتها تعمل بأقصى قوتها وسرعتها ، محاولة رصد وكشف ذلك الجسم المجهول ، إلا أن كل الأجهزة لم تعلن عن رصد شىء ما ، على الرغم من تزايد الذبذبة أكثر ..

وأكثر ..
وأكثر ..
ثم فجأة ، ظهر ذلك الجسم ..
والتقطته كل الأجهزة فى آن واحد ..
وأدرك الجميع ، فى لحظة واحدة ، لماذا لم يتم رصده من قبل !
لقد كان جسمًا صغيرًا للغاية ، فى حجم برتقالة عادية ، برز بغتة وسط طائرات السرب ، ثم انفجر ..
ودوى الانفجار وسط مقاتلات السرب ، التى توقفت أجهزتها الإليكترونية كلها دفعة واحدة ، وانقطعت كل الاتصالات منها وإليها ، واختل توازنها ، وراحت تهوى على نحو مخيف ، نحو رمال الصحراء ..
كان من الواضح أن ذلك الشىء الصغير ، هو قذيفة إليكترومغنطيسية ، أكثر تطورًا من تلك الصواريخ ، التى أطلقوها نحو المركبة المجهولة ..
لقد فقدوا السيطرة على كل الأجهزة الإليكترونية فى مقاتلاتهم دفعة واحدة ..
وراح السرب كله يهوى ..
ويهوى ..

ويهوى ..
وكان من الطبيعى أن ينتهى هذا السقوط بالارتطام برمال الصحراء ..
والانفجار ..
وفناء السرب السابع ..
عن آخره ..
ولكن ..
وكل تصاريف القدر تتبع كلمة (لكن) هذه ..
فمن حسن الحظ ، ودقة التقدير ، وبراعة القيادة ، ورحمة الله (سبحانه وتعالى) ، أن مقاتلى السرب السابع ، باعتبارهم أفضل نسور القوات الجوية المصرية ، قد تدرّبوا على التصرّف ، فى حالة تعرُّضهم لخلل إليكترومغنطيسى ..
وكانت طائراتهم مزوّدة بالقدرة على القيادة اليدوية ، فى حالات الطوارئ القصوى ..
تمامًا مثل قيادة الطائرات الشراعية ، التى لا تحوى أية محركات ..
ولم يكن الأمر بحاجة حتى إلى أوامر مباشرة ..
أو حتى غير مباشرة ..

ففى آن واحد تقريبًا ، سيطر كل مقاتل على طائرته ، وألغى كل الاتصالات الإليكترونية داخلها ، وراح يتعامل معها باعتبارها مجرّد طائرة شراعية عادية ، على الرغم من ثقلها ، ودرجة تسليحها العالية ..

واعتدلت الطائرات فوق رمال الصحراء ..

وراحت تهبط على نحو منتظم ..

لم يكن الهبوط سهلاً أو هينًا ..

لقد ارتطمت المقاتلات برمال الصحراء ، وراحت تزحف فوقها لعدة أمتار ..

بعضها ارتطم بصخور الصحراء ..

وبعضها اختلّ توازنه ، مع الهبوط على الرمال ، فمال أحد جناحيه ، وارتطم بالتباب ، وتحطّم فى عنف ..

والبعض الأخير نجا بأعجوبة ..

ومن هذه الفئة الأخيرة ، كان قائد السرب ، الذى راح يضغط أزرار جهاز الاتصال الداخلى فى توتر ، هاتفًا :

ـ هل هبط الجميع بخير ؟! هل يسمعنى أحدكم ؟!

ولما لم يتلق جوابًا ، استخدام ذراع الإزاحة اليدوى ، ليدفع قمة كابينة القيادة إلى الخلف ، ووثب خارجها ، وهو يهتف بأقصى قوته :

ـ هل الجميع بخير ؟!

أتاه صوت أحد رجاله ، يهتف :

ـ رقم (١٠٠٤) بخير .

ثم تلاه صوت يقول :

ـ رقم (١٠٠٧) بخير .

وتوالت الهتافات ، لتعلن أن الجميع بخير ، مما عدا نسر واحد ، أصيب بكسر فى ذراعه ، مع عنف الهبوط ..

وبسرعة ، راح المقاتلون يعاونون زميلهم المصاب ، فى حين التفّ بعض منهم حول قائدهم ، وسأله أحدهم فى توتر :

ـ ترى ما هذا الشىء أيها القائد ؟!

لوّح القائد بيده ، قائلاً :

ـ إنها قنبلة كهرومغنطيسية فائقة القوة ، تتبع تلك المركبة المجهولة حتمًا .. نوع من الحراسة الاحتياطية ، التى تتدخل لإتلاف معدات الهجوم ، إذا ما تعرّضت المركبة الأولى للخطر .

رفع أحدهم رأسه إلى أعلى ، مغمغمًا فى توتر :

- ومن أدرانا أنه لا توجد حراسات احتياطية أخرى ؟!

هزّ القائد كتفيه ، وألقى نظرة بدوره إلى السماء ، مجيبًا :

- لا أحد يمكنه الجزم .

ثم تلفّت حوله متوترًا ، وهو يضيف :

- ثم إنه لا فارق ، فى وضعنا الحالى .. لقد انقطعت كل وسائل الاتصال ، واضطررنا للهبوط فى قلب الصحراء ، و ...

بتر عبارته بغتة ، عندما هتف أحد رجاله ، مشيرًا إلى المركبة ، المحاطة بتلك المادة الرغوية الكثيفة :

- ربّاه !! انظر أيها القائد .

استدار الجميع إلى حيث يشير ، وقفزت دهشتهم إلى ذروتها ..

فعلى الرغم من الغلاف الرغوى الكثيف ، ومن الصواريخ الإليكترومغنطيسية ، التى يفترض أن تصيب كل أجهزتها بخلل عنيف ، كانت تلك المركبة

استدار الجميع إلى حيث يشير ، وقفزت دهشتهم إلى ذروتها ..

المجهولة تتألق بوهج أزرق عجيب ، وترتفع عن رمال الصحراء فى بطء مثير ..
ومخيف .

★ ★ ★

ران صمت مهيب على حجرة (نور) ، فى المستشفى العسكرى ، وتعلقت العيون كلها بأصابع (نشوى) ، وهى تتنقل على أزرار الكمبيوتر فى سرعة ، قبل أن تضغط زرًا أخيرًا ، ثم تتراجع لتلقى نظرة نهائية على برنامجها المركب ، وتغمغم :

ـ أتمنى أن يكون كل شىء على ما يُرام .

لم يعلق أحد بحرف واحد على عبارتها ، وإنما أشرأبت أعناقهم ، للتطلع أكثر وأكثر إلى شاشة الكمبيوتر ، التى انقسمت إلى أربع خانات ، تحمل كل منها صورة أحد أفراد الفريق ، الذى يرقد فى حالة الشلل الكامل ، فى حين امتدت من الكمبيوتر نفسه حزمة من الأسلاك ، اتصلت بجهاز خاص ، ينقل إشارات أجهزة رسم المخ إليه ، ويقوم بترجمتها ، عبر البرنامج الخاص ، إلى لغة معروفة ، تتحول بفعل برنامج آخر بسيط إلى صوت مسموع ، يختلف من خانة إلى أخرى ..

باختصار ، كان ذلك البرنامج قادرًا ، على تحويل ما يدور فى أذهان أفراد الفريق ، إلى أصوات وانفعالات واضحة ، على الرغم من رقدتهم الساكنة الصامتة ، وعجزهم التام عن السيطرة على حواسهم ..

وبأصابع مرتجفة ، أمسكت (نشوى) بوق الكمبيوتر ، وضغطت أحد الأزرار ، قائلة :

ـ أبى .. طبقًا لحساباتى ، المفترض أن تسمعنى ، وأن تستوعب كل ما أقول الآن ، بمنتهى الدقة والوضوح ، فهل هذا صحيح ؟!

أنهت عبارتها ، واحتبست أنفاسها ، وتضاعف الصمت أكثر وأكثر ، حتى بدا وكأنه أقل همسة ، ستبدو فى هذه الحجرة أشبه بدوى الطبول ..

وانقسمت عيون الجميع وأفكارهم إلى قسمين متساويين ..

قسم بصرى ، يتنقل فى سرعة وتوتر ، بين شاشة رسائم المخ الإليكترونى ، وشاشة كمبيوتر (نشوى) ..

وقسم سمعى ، أُرهِفَ بالكامل ، فى انتظار رد فعل (نور) ، الذى سيحوله برنامج الكمبيوتر إلى صوت مسموع ، و ...

« أحسنت يا (نشوى) .. » ..

انبعث الصوت من مسماع الكمبيوتر ، فسرت ارتجافة فى أجساد الجميع ، فى حين انتفض جسد (نشوى) فى عنف ، وهى تهتف :

- يا إلهى ! لقد نجحت .. يا إلهى !

وتفجّرت الدموع غزيرة من عينيها ، غير مصدّقة أن فكرتها قد تكللت بالنجاح ، فانبعث صوت (نور) من الكمبيوتر مرة أخرى ، وهو يقول :

- فكرتك عبقرية .. لم يكن من الممكن أن يفعل الفريق كله ما هو أفضل ، لو أنه فى موضعك .. لقد تفوّقت علينا جميعًا .

كانت دموعها تغرق عينيها ، وسط انبهار الجميع ، وهى تقول :

- المهم أننى نجحت يا أبى .. حمدًا لله .. حمدًا لله .

هتف رئيس القسم فى حماس :

- نجحت ؟! بل حققت معجزة يا بنيتى .. معجزة على أى مقياس طبى وعلمى .

كان جهازها ينقل كل الأصوات فى الحجرة إلى حجرات العناية الخاصة الأخرى ، التى يرقد فيها

(رمزى) و (أكرم) و (سلوى) ، عبر أجهزة اتصال خاصة ، لذا فقد انبعث صوت (سلوى) ، وهى تقول :

- إنها ابنتى .

هتف طبيب آخر فى حماس منقطع النظير :

- وخير من أنجبت يا سيّدتى .

انبعث صوت (أكرم) ، قائلاً :

- أشكرك يا (نشوى) .. أخيرًا لم أعد أشعر بذلك العجز السخيف ، الذى كاد يقتلنى .. كيف حال (مشيرة) ؟!

أجابته من وسط دموعها :

- لقد أعادوها إلى منزلها يا (أكرم) .. هذا أفضل لها ، فى الوقت الحالى .

أتاها صوت (رمزى) ، وهو يسأل :

- وكيف حال (محمود) الصغير ؟!

أجابته (نشوى) ، وهى تمسح دموعها فى تأثُّر :

- هذا سبب آخر لعودة (مشيرة) إلى منزلها يا (رمزى) ؛ فهى تتولّى العناية به ، حتى أنتهى من مهمتى .

قال (رمزى) ، عبر جهاز الاتصال الخاص جدًا :

ـ إننى أشعر بالفخر لما فعلت يا عزيزتى .

انبعث صوت (نور) ، يقول :

ـ كلنا نشعر بالفخر لما فعلته (نشوى) يا (رمزى) ، ولكن علينا أن نؤجّل كل هذه المشاعر لما بعد ؛ فلن يمكننا التعبير عنها فى وضوح الآن .. المهم أن نتآزر ؛ لحل لغز ذلك الفضائى المزعوم .

سألته (نشوى) فى دهشة :

ـ ولماذا تصفه بالمزعوم يا أبى ؟!

صمتت الأصوات الإليكترونية بضع لحظات ، قبل أن ينبعث صوت (نور) مرة أخرى ، وهو يقول :

ـ هذا اجتماع خاص بالفريق ، والأفضل أن يتم بصورة مغلقة كالمعتاد .

بدا الحرج على الأطباء ، ولكن رئيس القسم قال فى صرامة :

ـ هيّا .. سنتركهم لعلهم ، ونعود نحن لعملنا .

لم تمض دقائق ، حتى خلت الحجرة تمامًا ، وأعلنت (نشوى) ذلك ، عبر جهاز الاتصال الخاص ، فقال (نور) ، بذلك الصوت الخالى من الانفعالات ، الذى يصنعه برنامج الكمبيوتر المتطوّر :

ـ الآن أريد معرفة كل ما حدث ، منذ سقطت فى حالة الشلل السخيفة هذه ، وبأدق التفاصيل .

غمغمت (نشوى) :

ـ كنت أتوقّع هذا .

ثم راحت تروى له كل ما حدث ..

وبأدق التفاصيل ..

واستمع إليها فى اهتمام بالغ ، قبل أن يسأل (نور) :

ـ وماذا عن الأحداث الأخرى ؟!

سألت (نشوى) فى حيرة :

ـ أية أحداث أخرى ؟!

أجابها :

ـ ماذا عما يعلمه القائد الأعلى والدكتور (جلال) ، حتى لحظتنا هذه ؟!

أومأت برأسها متفهّمة ، وقالت ، وهى تضغط أزرار الكمبيوتر :

ـ سأوصلك بالقناة السرية الخاصة ، لتنقل إليك كافة التفاصيل ، لحظة فلحظة .

استغرق عقل (نور) فى متابعة التفاصيل ، فى حين قالت (سلوى) :

ـ منذ سقطت فى حالة الشلل هذه ، وأنا ألقى على نفسى سؤالاً واحدًا .. كيف طاردتنى تلك الكرة على هذا النحو ؟! ولأن جسدى كان مسترخيًا تمامًا ، رحت أراجع كل معلوماتى عن التوصيل والتتبُّع ، ولم أجد سوى تفسير واحد ، قد يفتقر إلى المنطقية بعض الشىء ، ولكن له أسس علمية .

أتاها صوت (نور) ، وهو يقول :

ـ أهى عملية تتبُّع البصمة الجينية ؟!

قالت (سلوى) :

ـ بالضبط .. لقد شاركت مع بعض علماء البيولوجيا ، فى بعض التجارب الأوّلية لشىء مشابه يا (نور) .. قذيفة تتبُّع البصمة الجينية لنوع خاص .. الأسود مثلاً أو التماسيح ، وأعتقد أنه يمكن تطوير مثل هذه القذيفة فى المستقبل ، لتعقُّب بصمة جينية بعينها .

قال (نور) :

ـ بالضبط .. كل شىء يمكن التوصُّل إليه فى المستقبل .

تساءل (أكرم) :

ـ حتى ذلك الآلى ، الذى يعتمد على خلايا حية ؟!

أجابه (نور) :

ـ حتى ذلك يا (أكرم) .. هناك تجارب بالفعل فى هذا الشأن ، ولكنها لم تكلَّل بالنجاح بعد ، ويطلق عليها اسم مشروع (سيبورج) (*).

قال (أكرم) :

ـ إذن فعدونا آت من كوكب يفوقنا تقدُّمًا بالفعل يا (نور) .

فقال (نور) :

ـ ربما يثبت فحص عينة دمه أمرًا آخر .

تدخل (رمزى) ، قائلاً :

ـ أى أمر يا (نور) ؟! إنها محاولة غزو فضائية ولا شك .. هل نسيت العنصرين المجهولين ، فى تلك المادة الكيماوية ، التى فعلت بنا كل هذا ؟!

قالت (نشوى) فى دهشة :

ـ وكيف علمت بأمر العنصرين المجهولين ؟! إنك أو ضحية لتلك المادة يا (رمزى) ؟!

تابعها فى سرعة :

أنسيت أننى كنت أستمع إلى أحاديثكم طوال الوقت ؟!

(*) حقيقة .

غمغمت :

ـ آه .. كيف نسيت هذا ؟!

تساءل (نور) :

ـ وماذا عن عملية فحص بقايا الآلى ؟! هل أسفرت عن شىء ؟!

أجابته فى ضيق :

ـ لست أدرى .. لقد استولى الرائد (أيمن) وفريقه على كل بقايا الآلى .

قال :

ـ فيما عدا قطعة واحدة .

سألته فى لهفة :

ـ وأين هى ؟!

أجاب فى سرعة :

ـ فى جيبى .

أسرعت إلى سترته ، المعلّقة فى دولاب الحجرة ، وراحت تفتش جيوبها فى سرعة ، حتى التقطت الدائرة الإليكترونية الصغيرة ، فهتفت :

ـ أهى تلك الدائرة الصغيرة ؟!

أجاب :

ـ بالضبط .. هل يمكنك فحصها ؟!

التقطت عدسة مكبّرة كبيرة من حقيبتها ، قائلة :

ـ بالطبع .

وضعت الدائرة الإليكترونية تحت العدسة الكبيرة ، وراحت تفحصها باهتمام بالغ ، قبل أن تقول فى حيرة :

ـ عجبًا ! إنها تشبه الدوائر التى نصنعها هنا ، ولكنها أكثر دقة وتطورًا إلى حد كبير .

سألها (نور) :

ـ هل ترين أية كلمات عليها ؟!

عادت تفحص الدائرة بدقة أكثر ، قبل أن تقول :

ـ نعم .. هناك كلمات فى طرفها ، ولكنها صغيرة ودقيقة للغاية .

سألها (نور) :

ـ هل يمكنك تكبيرها أكثر ؟!

أجابته ، وهى تضغط بضعة أزرار ، فى طرف العدسة ، فتضاعفت قوة تكبيرها مرة ، وأخرى ، وثالثة ..

ومع كل مرة ، كانت تلك الكلمات الدقيقة تتضح أكثر ..

وأكثر ..
وأكثر ..
ومع وضوحها ، شهقت (نشوى) ، هاتفة :
ـ ربّاه ! إنها حروف عربية واضحة .
قال (أكرم) :
ـ عربية ؟!
وقالت (سلوى) :
ـ أعتقد أنه باستطاعتى استنتاجها .
أما (رمزى) ، فقال :
ـ أخشى أن ..
قبل أن يتمّ الكمبيوتر عملية تحويل إشارات مخه إلى كلمات مسموعة بصوته ، اقتحم الدكتور (حجازى) الحجرة ، هاتفًا :
ـ (نشوى) .. لن يمكنك أن تتخيّلى نتيجة فحص عينة دم الغريب .
فوجىء بصوت (نور) ، يقول :
ـ مرحبًا يا دكتور (حجازى) .. أعتقد أننى أستطيع استنتاج ما لديك .
هتف الدكتور (حجازى) فى انفعال :

ـ ربّاه ! لقد فعلتها إذن يا (نشوى) ! فعلها برنامجك العبقرى !
سألته (نشوى) فى توتر :
ـ ما الذى أسفر عنه فحص عينة الدم يا دكتور (حجازى) ؟!
قبل أن تنفرج شفتا الطبيب الشرعى ، أجاب (نور) ، بذلك الصوت الآلى الرتيب ، الخالى من أية انفعالات :
ـ إنها ليست عينة دماء غير عادية .
هتف الدكتور (حجازى) :
ـ يا إلهى ! بالضبط يا (نور) .. إنها عينة دم بشرية ، من فصيلة (أ) موجبة .
قالت (نشوى) فى دهشة بالغة :
ـ مستحيل ! هل يمكن أن يحمل سكان الكواكب الأخرى نفس فصائل دمائنا .
أجابها (رمزى) :
ـ ألم تستوعبى الأمر بعد يا (نشوى) .. حديث القائد واضح للغاية .
واتبعث صوت (أكرم) ، يكمل :
ـ خصمنا ليس فضائيًا مجهولاً .

وأكملت (سلوى) :

- إنه بشرى .. مجرّد بشرى عادى .

اتسعت عينا (نشوى) فى ذعر ذاهل ، وهى تهتف :

- مستحيل ! هذا مستحيل تمامًا .. لو أنه مجرّد بشرى ، فكيف يمكن تفسير الأسلحة المتقدّمة ، والآلى ذى الخلايا الحية ، والعنصرين المجهولين ، والمادة الغامضة ، و ...

قاطعها (نور) ، قائلاً :

- لكل هذا تفسير آخر يا (نشوى) .

سألته ، بكل توتر الدنيا :

- وما هو ؟!

وبالصوت الآلى ، الخالى من الانفعالات ، ألقى (نور) تفسيره ..

واتسعت عيون الدكتور (حجازى) و (نشوى) عن آخرهما ..

فقد كان التفسير مدهشًا وعجيبًا !! للغاية .

★ ★ ★

٥ - الغـــد ..

تراجع نسور السرب السابع فى حذر ، أمام مشهد المركبة ، التى تألّقت بذلك الضوء الأزرق ، وارتفعت عن الأرض فى بطء شديد ، وانتزع كل منهم مسدسه الليزرى فى تحفز ، وأحدهم يتساءل فى انزعاج :

- ماذا يحدث أيها القائد ؟!

أجابه قائد السرب ، وهو يصوّب مسدسه الليزرى إلى المركبة ، وكأنما يتوقّع إسقاطها بأشعته :

- من الواضح أن تلك القنبلة ، التى أوقفت أجهزتنا الإليكترونية ، كان لها تأثير معاكس ، على أجهزة هذه المركبة العجيبة .. لقد أعادتها إلى العمل ، على نحو أو آخر .

قال رجل آخر فى عصبية :

- أ .. أليس من المفترض أن تعزلها المادة الرغوية عن أية تأثيرات إليكترونية خارجية ؟!

هزّ قائد السرب كتفيه فى حيرة ، وهو يجيب :

- بلى .. من المفترض هذا ، ولكن ..

قبل أن يتمّ عبارته ، دارت المركبة حول محورها في بطء ، لتواجه نسور السرب السابع بمقدمتها ، فهتف أحدهم ، وهو يصوّب إليها مسدسه الليزرى بدوره :

ـ رباه !.. إنها تستعد لإطلاق أسلحتها علينا .

انعقد حاجبا قائد السرب ، وراح عقله يدرس الموقف في سرعة ..

حركة المركبة توحي بأنها تستعد لاقتناصهم بالفعل ..

والصحراء أمامهم ممتدّة إلى ما لانهاية ..

ولا يوجد ما يمكن الاحتماء به .

سوى مقاتلاتهم ..

وانفجار المقاتلة أكثر عنفًا في كرات النار العادية ..

وهذا يعني أنه لا مفر من الموت ..

« أيها النسور .. » .

انطلقت صيحته حاسمة حازمة ، وهو يصوّب مسدسه إلى المركبة في إحكام ، متابعًا بلهجة قوية :

ـ فليكن ثمن دمائكم غاليًا .

فهم الجميع ما يعنيه ، فارتفعت مسدساتهم الليزرية في وجه المركبة ..

وأطلت من العيون نظرة حازمة ، حاسمة ..

كل العيون ..

وأكملت المركبة استدارتها ..

وأصبحت تواجههم تمامًا ..

« الآن أيها النسور .. » .

انطلقت صيحة قائد السرب هذه المرة قوية هادرة ..

وانطلقت معها مسدسات النسور..

وهوت على المركبة كالسيل ..

أو أشد قوة ..

وتفجّر جزء من الغلاف الرغوى ، في مقدّمة المركبة ..

وانطلقت عبره كرة من النار ، أصابت أحد النسور ، وتفجّرت في صدره ، وانتزعته من مكانه في عنف ، لتلقى به على مسافة خمسة أمتار ، فوق رمال الصحراء ..

وانطلقت أشعة النسور ثانية ..

وأجابت المركبة بكرة نارية ثانية ..

وضحية جديدة ..

وعلى الرغم من هول الموقف ، لم يتراجع أحد النسور خطوة واحدة ..

لقد انطلقت أشعة مسدساتهم الليزرية بلا توقُّف ..

وبلا هوادة ..

وعلى الرغم من شعورهم بأنه ليس هناك أمل من المقاومة ..

أدنى أمل ..

ولكن فجأة ، ظهرت الحوامات الحربية فى سماء المعركة ..

ودون مقدمات ، انقضَّت على المركبة الغريبة ..

وما إن لمح قائد السرب السابع تلك الشبكة المعدنية ، التى تمتدّ أطرافها إلى الحوامات ، حتى هتف برجاله :

ـ تراجعوا .. بأقصى سرعة ..

وانطلق الرجال يعدون مبتعدين ..

وتوقَّفت المركبة عن إطلاق كراتها النارية ..

وتحرَّكت أجهزتها ؛ لترصد تلك الحوامات الحربية ..

وفى نفس اللحظة ، أسقطت الحوامات شبكتها المعدنية ..

وفى لحظة واحدة ، كانت تلك الشبكة المعدنية تحيط بالمركبة العجيبة ..

ثم تفجَّرت داخلها صواعق عجيبة ..

عشرات الصواعق ، انتقلت من نقطة إلى أخرى ، عبر الشبكة المعدنية ..

وانتفضت المركبة العجيبة ..

وانتفضت ..

وانتفضت ..

ثم توقَّفت تمامًا ..

وعندئذ ..

عندئذ فقط ، هبطت الحوامات ، وسط نسور السرب السابع ..

أما المركبة العجيبة ، فقد سكنت حركتها تمامًا ، معلنة هزيمتها الفادحة هذه المرة ..

دون أدنى شك ..

★ ★ ★

« من المستقبل ؟! .. » .

هتفت (نشوى) بالعبارة فى ذهول ، مردِّدة ما ذكره والدها ، عبر إشارات مخه ، التى يترجمها برنامجها الخاص ، وحدَّقت فى شاشة الكمبيوتر لحظات فى ذهول ، قبل أن تستطرد فى عصبية :

ـ تفسير أكثر غرابة يا أبى .. إننى قد أصدّق كونه مخلوقًا فضائيًا، فسيكون لديه عندئذ ما يبرّر أفعاله ، أما كونه من المستقبل ، فهذا يجعل الأمور أكثر غرابة وتعقيدًا !

انبعث من الكمبيوتر صوت (سلوى) ، وهى تقول :

ـ على العكس يا (نشوى) .. هذا التفسير يجعل الأمور كلها أكثر منطقية ، على الرغم من غرابته ؛ فكل ما يستخدمه ذلك الشخص هو تطوير لأشياء تحققها معاملنا بالفعل ، ولو واصلنا تطوير هذه الأشياء لعشرة أعوام أخرى ، فربما صارت أفضل مما لديه بالفعل .. قذائف تعقُّب البصمات الجينية ، وكرات البلور النقى ، الملينة بكيماويات الأعصاب ، وحتى الأغلفة الكهرومغنطيسية الخفية .. صدقينى يا بنيتى ، ما قاله والدك يبدو أكثر منطقية بالفعل ..

غمغم الدكتور (حجازى) مبهوتًا :

ـ وماذا عن ذلك الآلى ، صاحب القدرة على التحوّر الجينى ، والذى يجمع بين الإليكترونيات والخلايا الحية ؟

أجابه (رمزى) :

ـ تطوير آخر لمشروع حالى ، لم يحقّق نجاحًا بعد .. مشروع (سيبورج) .

قالت (نشوى) فى توتر :

ـ والعنصران المجهولان ؟!

كان (نور) هو صاحب الجواب هذه المرة ، وهو يقول :

ـ كانت هذه النقطة التى تثير حيرتى منذ البداية .. العنصران المجهولان !! كنت أتساءل : كيف يمكن أن يحصل مخلوق أرضى مستقبلى على مادة كيماوية ، تحوى عنصرين مجهولين ؟!

غمغمت (نشوى) فى توتر :

ـ ما زلت ألقى السؤال ذاته على نفسى .

أجابها (نور) :

ـ الجواب أيضًا هو المستقبل يا (نشوى) .. المستقبل وحده يمكن أن يكشف عناصر جديدة ، ما زالت مجهولة فى حاضرنا .. الرحلات الفضائية ، والكشوف الكونية ، والتحاليل الجيولوجية للصخور والنيازك ، التى تتساقط على الأرض والقمر ، ستكشف حتمًا بعض العناصر المجهولة ، مع تقدُّم أجهزة الفحص ، وطرق التحليل ..

قال الدكتور (حجازى) :

ـ ليس بالضرورة .

قال (نور) فى سرعة :

ـ وليس هناك ما يمنع أيضًا .

صمت الدكتور (حجازى) وبدت عليه علامات التفكير العميق لبضع لحظات ، ثم سأل (نشوى) فجأة :

ـ ما الكتابات العربية ، التى وجدتها ، على تلك الدائرة الإليكترونية الدقيقة .

صمتت (نشوى) لحظة ، قبل أن تلوّح بالدائرة الدقيقة ، مجيبة :

ـ صُنِعَ فى (مصر) .

ارتفع حاجباه إلى أقصاهما ، حتى ارتطما بمنابت شعر رأسه ، واتسعت عيناه الضيقتان ، حتى بان لونهما الأخضر فى وضوح ، وهو يحدّق فيها ، قبل أن يعود حاجباه إلى الانعقاد ، فتختفى قزحيتاه خلف أجفانه المتقاربة ، ويلوذ بالصمت بضع لحظات ، ثم يقول فى عصبية :

ـ ربما .. ربما كنت على حق يا (نور) .

قالها ، واندفع يغادر الحجرة فى شىء من الحدة ، جعل (نشوى) تتساءل فى حيرة :

ـ ماذا به ؟!

أجابها زوجها (رمزى) :

ـ إنه يشعر بالتوتر والاضطراب ، ولا يمكنه استيعاب استنتاج (نور) ، وهذا يجعله شديد العصبية ، ويدفعه إلى الفرار من الموقف كله .

غمغمت (نشوى) :

ـ هذا يجعلنا اثنين ؛ فأنا أيضًا أعجز عن استيعاب الأمر هذه المرة ..

لا يمكننى أن أتصوّر أن يعود شخص ما من المستقبل ، بهدف تدميرنا فحسب ، خاصة وأنه هناك أمور أخرى ، لا تتفق مع هذا .

سألها (نور) :

ـ مثل ماذا ؟!

قالت فى عصبية :

كل ما حصلنا عليه ، من شبكة المعلومات السرية للإدارة .. أمر تلك المركبة المجهولة ، والإشارات الفضائية المنعكسة .. « كل شىء على ما يرام .. نحن فى انتظاركم .. » .. هذا يرجح ، من وجهة نظرى ، فكرة غزاة الفضاء .

أجابها (نور) :

- بالضبط ، وهذا هو الغرض الرئيسى لوجود المركبة وإطلاق الإشارة الفضائية .. إرباك الخصم .. وضع الأمور فى شكل يوحى بعملية الغزو الفضائى هذه .. ولو راجعت كل الأمور ، ستجدين أنها معدّة بحيث يمكن كشفها ، وليس على نحو يمنع فضح أمرها ، وهذه سمة من يرغب فى جذب الاهتمام إلى أمر ما ، وليس من يحاول إخفاء سره .

تساءلت فى توتر :

- ولكن تلك المركبة جاءت من الفضاء ، ورصدتها أجهزة المحطة الفضائية فى أثناء هبوطها بالفعل !

اندفع (أكرم) يقول :

- لو أردت رأيى ، فتلك المركبة عبارة عن آلة زمن .. لقد انطلق بها صاحبها من المستقبل ، خارج الغلاف الجوى الأرضى ، وعبر بها أحد الثقوب الزمنية ، ليعود إلى عصرنا هذا .

غمغمت :

- أتقصد مثلما فعل (طارق) ؟! (*).

(*) راجع قصة (فارس الزمن) ... المغامرة رقم (١١٧) .

أجابها (أكرم) :

- بالضبط .

مضت لحظة من الصمت ، بدت خلالها ملامح التفكير العميق على وجه (نشوى) ، حتى انبعث صوت (رمزى) ، وهو يقول :

- مرحى يا (أكرم) .. إنك متألق أكثر مما ينبغى .

أجابه (أكرم) :

- يبدو أن انخفاض كل المعدلات الحيوية للجسم ، مع النشاط الزائد للمخ ، قد أدّى إلى زيادة معدلات الفهم والذكاء بصورة ما .

ابتسمت (نشوى) ابتسامة باهتة ، وهى تغمغم :

- هذا استنتاج عبقرى آخر .

ثم زفرت فى توتر ، مضيفة :

- ولكننى ما زلت عاجزة عن استيعاب الموقف .

سألها (نور) :

- هل اقتنعت بأن تلك الكرات النارية كانت تتعقّبنا بوساطة بصماتنا الجينية ، المسجّلة داخلها ؟!

أجابت بسرعة :

- بالتأكيد .. إنه افتراض علمى منطقى للغاية ، ويتوافق تمامًا مع ما شاهدته بنفسى .

قال (نور) :

ـ عظيم .. سلى نفسك إذن : كيف حصل خصمنا على بصماتنا الجينية ؟!

باغتها السؤال ، فانتفض جسدها لحظة ، قبل أن ينعقد حاجباها بشدة ، وتلقى على نفسها السؤال ذاته ..

نعم .. كيف حصل على بصماتهم الجينية ؟!

المكان الوحيد ، الذى يحفظ بصماتهم الجينية ، هو مركز الأبحاث التابع لجهاز المخابرات العلمية ، كجزء من برنامج الأمن والتحقق من الشخصية ..

وذلك الشخص لم ينجح فى دخول المركز أبدًا ..

ربما فعلها رجله الآلى ، ذو التحوُّر الجينى العجيب ..

ولكنه هو لم يفعلها ..

ثم إن بصماتهم الجينية ما زالت محفوظة كما هى ، داخل خزانة الأمن الإليكترونية المحكمة للغاية ، فى أعماق مركز الأبحاث ..

لقد تحققت من هذا بنفسها ..

فكيف حصل هو على بصماتهم الجينية ؟!

كيف ؟!

كيف ؟!

لم تكن قد ألقت سؤالها هذا ، عندما أتاها صوت (نور) ، يجيب :

ـ لقد حصل عليها من مستقبلنا يا (نشوى) .. من زمن لم يعد لنا فيه وجود .. زمن أصبحنا فيه مجرَّد ذكرى أو تاريخ .. لقد حصل عليها من محفوظات تاريخية لفريقنا ، تضمّ فيما تضمّ ، بصماتنا الجينية .

كان تفسيره منطقيًا ..

ومخيفًا ..

للغاية ..

حتى إن كل ذرة فى كيانها قد ارتجفت فى قوة ..

وفى رهبة ..

وعنف ..

ولثوان ، ظلّت صامتة ، ساكنة ، شاردة ، قبل أن تغمغم :

ـ نعم .. هذا هو التفسير المنطقى الوحيد .

قال (نور) :

ـ يسعدنى أن استطعنا إقناعك ؛ فأنت أملنا الوحيد ، بعد الله (سبحانه وتعالى) ، فى تجاوز هذه الحالة السخيفة .

انحدرت الدموع من عينيها ، وهى تقول فى مرارة :

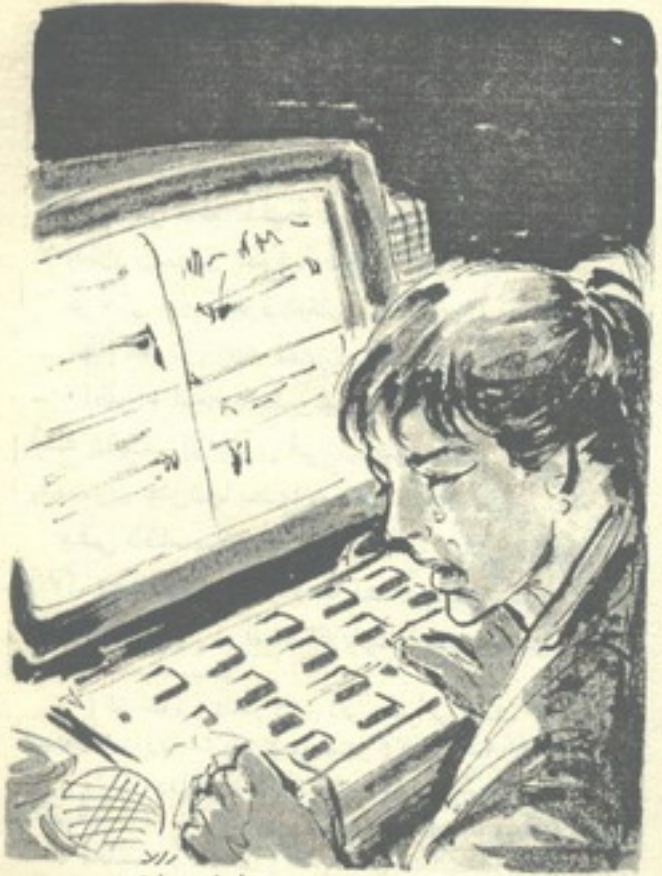

انحدرت الدموع من عينيها ، وهى تقول فى مرارة :
- ليتنى أستطيع .. ليتنى أذكر تركيب تلك المادة ..

- ليتنى أستطيع .. ليتنى أذكر تركيب تلك المادة المضادة ، التى تم حقن (رمزى) وأمى بها ، لاستجوابهم ، مع مصل الحقيقة .. ليته لم يتلف كل البيانات فى شبكة كمبيوتر المعامل .

بكت فى مرارة ، وسط صمت حزين ساد المكان ، قبل أن ينبعث صوت (رمزى) ، وهو يقول :

- ربما كانت هناك وسيلة .

سألته فى لهفة :

- وما هى ؟!

أجاب فى سرعة :

- سأخبرك ..

ولنصف ساعة أخرى ، راح الكل يناقشون تفاصيل خطتهم الجديدة ..

خطة مواجهة عدو غامض ، آت من الغد ..

لو أنه ما زال هناك غد ..

★ ★ ★

بلغت استحكامات الأمن ذروتها ، فى القاعدة الفضائية المصرية ، مع وصول مركبات النقل

الخاصة ، فى الثالثة صباحًا ، حاملة تلك المركبة المجهولة ، المحاطة بالشبكة الإليكترومغنطيسية ، التى تفسد عمل أجهزتها تمامًا ..

وتحت إشراف الدكتور (جلال) شخصيًا ، تم نقل المركبة إلى قاعة خاصة ، تم تجهيزها مسبقًا ، بحيث لا يمكن أن تعمل المركبة داخلها قط ..

أو حتى أية أجهزة إليكترونية أخرى ..

لذا، فقد تم إعداد أجهزة يدوية خاصة ، مع فريق من الخبراء أحاطوا بالمركبة ، وراحوا يزيلون عنها ذلك الغلاف الرغوى فى حرص شديد ، ثم أخذوا يفحصون جدرانها بعدها بمنتهى الدقة ..

وفى الخامسة والنصف صباحًا ، خرج تقريرهم الأول ، يعلن أن المركبة مصنوعة من مادة (التيتانيوم)(*)، أما تكوينها العام ، فهو أشبه

(*) التيتانيوم : عنصر فلزى نادر ، يقع فى الصف الرابع من الجدول الدورى ، كشفه (جريجور) ، عام ١٧٩٠ م ، عدده الذرى (٢٢) ، ووزنه الذرى (٤٧,٩٠) ، ويعتبر معدن المستقبل ، بالنسبة لصناعة الطيران ، ومركباته بالغة الأهمية ، ولبلورات ثانى أكسيد التيتانيوم (الروتايل) أعلى معامل انكسار معروف (٢,٧) ، لذا فيمكن وضعها فى صورة بلورات (ماسات) متعددة الأوجه .

بالمقاتلات الفضائية ، التى تم تصميمها ، فى مشروع دفاعى جديد ، يعرف باسم (حرب النجوم) ..

وفى حجرته الخاصة ، راح القائد الأعلى يراجع التقرير ، قبل أن يسأل الدكتور (جلال) فى اهتمام :

ـ ألا يمكننا أن نلقى نظرة على ما يفعله الخبراء ، عبر دائرة تليفزيونية مغلقة ، أو ما يشبه هذا ؟!

هزّ الدكتور (جلال) رأسه نفيًا ، وأجاب :

ـ ليس فى الوقت الحالى ، فلقد تم عزل قاعة الفحص بأكملها ، لمنع أية أجهزة إليكترونية من العمل داخلها ، خشية أن تعود آلات المركبة للعمل ، فتعرّضنا جميعًا للخطر .

سأله القائد الأعلى ، فى توتر بالغ :

ـ متى سيمكننا هذا إذن ؟!

أجابه الدكتور (جلال) وهو يلقى جسده المرهق على أقرب مقعد إليه :

ـ فى هذه اللحظة ، يحاول خبراؤنا تحديد موقع باب المركبة ، بوساطة الطرق ، والرنين ، وفور توصلهم إليه سيتم استخدام شعاع خاص جدًا من الليزر ؛ لشقّ المدخل ، واختراق المركبة ، وعندئذ

سيقوم الخبراء بعزل كل آلاتها عن مصدر الطاقة الرئيسى ، وبعد التأكد من عدم وجود مصدر طاقة فرعى ، ستبدأ عملية الفحص الإليكترونى .

تنهد القائد الأعلى ، قائلاً :

ـ هذا سيحتاج إلى ساعتين أخريين على الأقل ..

أشار الدكتور (جلال) بيده ، مؤمنًا :

ـ على الأقل .

ثم اعتدل فى مقعده ، متابعًا فى اهتمام متوتر :

ـ ولكن ذلك الفحص المبدئى قاد تفكيرى إلى نقاط أخرى ، بالغة الأهمية والخطورة ، بشأن هذه المركبة .

سأله القائد فى قلق :

ـ أية نقاط ؟!

أشار الدكتور (جلال) بيده ، قائلاً :

ـ لو راجعت الرسوم المبدئية اليدوية ، للتكوين الخارجى لتلك المركبة ، مع المادة التى تم صنع هيكلها منها ، ستلاحظ أنها تبدو أشبه بالتصميمات الأولية ، التى قام الخبراء بوضعها ، لأول مركبة زمن .. أعنى تلك التى استقينا أسس تشغيلها من

ملفات الكمبيوتر ، التى نقلها (نور) ورفاقه عن مركبة فارس الزمن (طارق) .

اعتدل القائد الأعلى فى مجلسه ، قائلاً فى توتر :

ـ حقًا ؟!

هزّ الدكتور (جلال) كتفيه ، وهو يقول :

ـ التشابه لا يمكن تجاهله ، خاصة وأنه يتعلّق بالحجم والتكوين ، المقترحين لمركبة الزمن القادمة ، بل وبانسيابية التصميم ، ومقاومة الهواء ، والتفاصيل الفنية الأخرى ، حتى لقد خطر ببالى أن ...

بتر عبارته ، ولم يستطع إكمالها لسبب ما ، ولكن القائد الأعلى أكمل ، قائلاً فى حزم :

ـ أنها آله زمن .

هتف الدكتور (جلال) :

ـ بالضبط .

انعقد حاجبا القائد الأعلى فى شدة ، وتراجع فى مقعده ببطء ، وأسند مرفقيه إلى طرف مكتبه ، وهو يشبك أصابع كفيه أمام وجهه ، وراح يتطلّع إلى الرسم اليدوى أمامه بعض الوقت ، قبل أن يقول فى حزم :

ـ هناك وسيلة لحسم الأمر .

سأله الدكتور (جلال) فى لهفة :

ـ وما هى ؟!

ألقى القائد الأعلى نظرة أخرى على الرسم اليدوى ، قبل أن يجيب :

ـ إننا نعرف على الأقل موضع الباب ، فى تصميمات مركبتنا الزمنية .

تألقت عينا الدكتور (جلال) وهتف ، وقد أدرك مغزى عبارة القائد الأعلى :

ـ آه .. فهمت .

ثم ضغط زر جهاز اتصال داخلى محدود ، وهو يقول :

ـ أنا الدكتور (جلال) .. أريد التصميمات الأولية لمركبة الزمن .

لم تمض دقائق ، حتى كانت التصميمات كلها أمامهما ، فأشار القائد الأعلى إلى موضع الباب عليها ، قائلاً :

ـ دعهم يحاولون .

وبسرعة مدهشة ، وإتقان يرتبط باسم المخابرات العلمية ، انتقل الأمر ، عبر جهاز اتصال خاص إلى

قسم المتابعة ، الذى أرسل أحد أفراده إلى قاعة الفحص ، وما إن أدرك خبراؤها المطلوب ، حتى اتجهوا إلى الموضع المحدود فى التصميمات بالضبط ..

ولم يستغرق الفحص سوى دقائق ثلاث ، أعلن الخبراء بعدها أنهم قد عثروا على الباب بالفعل ، فى الموضع نفسه ..

وهتف الدكتور (جلال) فى انفعال :

ـ رباه ! .. إنها إحدى مركباتنا إذن .

أشار القائد الأعلى بيده ، قائلاً :

ـ تقصد أنها ستصبح كذلك .

ثم اعتدل ، مستطردًا فى حزم :

ـ فى الغد .

هتف الدكتور (جلال) :

ـ بالضبط .

نهض القائد الأعلى من خلف مكتبه ، وهو يقول :

ـ المفترض أن يساعدنا هذا على إنجاز العمل بسرعة ودقة أكبر .

قال الدكتور (جلال) فى حماس :

ـ بالتأكيد .

أجابه القائد الأعلى :

ـ دع رجالك يعملون بأقصى طاقتهم إذن ، حتى نحصل على كل النتائج الممكنة ، فما كشفناه الآن لا يحلّ اللغز ، وإنما يضع أمامنا لغزًا آخر .

وشدّ قامته لحظة ، قبل أن يتابع فى توتر شديد :

ـ لماذا يسعى غدنا للقضاء علينا ؟! لماذا ؟!

ولم يحر الدكتور (جلال) جوابًا ..

فقد كان السؤال نفسه غامضًا ..

للغاية ..

★ ★ ★

ضغطت (نشوى) أزرار الكمبيوتر فى سرعة ، داخل حجرة قائد المستشفى العسكرى ، قبل أن تستدير إلى الدكتور (حجازى) ، قائلة :

ـ البرنامج الذى أشار به (رمزى) جاهز للعمل .

سألها الدكتور (حجازى) فى قلق :

ـ وماذا عنك ؟!

ازدردت لعابها فى صعوبة ، وأجابت بصوت يحمل الكثير من الانفعال :

ـ أنا مستعدة تمامًا .

سألهما قائد المستشفى :

ـ هل لى أن أعرف ماذا يحدث هنا ؟!

أجابته (نشوى) فى سرعة :

ـ إنه برنامج كمبيوتر خاص ، يمكن أن يقودنا إلى معرفة تركيب المادة المضادة ، التى يمكنها إعادة الجميع إلى حالتهم الأصلية .

سألها فى توتر :

ـ ولماذا يتم استخدامه فى حجرتى بالذات ؟!

أجابه الدكتور (حجازى) هذه المرة :

ـ لأنها آخر مكان يمكن أن يخطر ببال أحد أيها القائد .

بدا عدم الاقتناع على وجه الرجل بضع لحظات ، ثم لم يلبث أن قال :

ـ فليكن .. ما دامت هذه وجهة نظركم ، فمن المؤكّد أن لها ما يبرّرها ، ولكن هذه الحجرة تحوى الكثير من الوثائق والأوراق ، ولن يمكننى السماح لكما بالبقاء فيها وحدكما ، مهما كانت أسبابكما .

أجابته (نشوى) :

ـ لا ضرورة لهذا .. إنه برنامج تنويم مغنطيسى فحسب .

هتف الرجل فى دهشة :

ـ تنويم مغنطيسى ؟!

أجابت (نشوى) :

ـ نعم أيها القائد .. تنويم مغنطيسى .. الوسيلة المثلى لاستعادة جزء مفقود من الذاكرة ، أو إضاءة جانب مظلم من العقل .. فطبقًا لنظرية علمية صحيحة ، لا يمكن أن ينسى الإنسان أى شىء اختبرته حواسه .. لا يمكن أن ينسى شيئًا رآه ، أو سمعه ، أو قاله ، أو شمّه ، أو حتى لمسه .. كل ما فى الأمر أن الذاكرة البشرية لا تضع كل ما اختبرته فى موضع واحد ، وإنما تقسمه إلى فئات مختلفة ، فهناك الذاكرة الأساسية ، التى تحكم حياتنا اليومية ، والتى تحوى كل خبراتنا عن المشى والكلام والرؤية ، والسمع ، وغيرها ، وبوساطتها يمكننا التحدُّث ، وتمييز الأشياء والتعايش مع البيئة المحيطة ، وهناك ذاكرة دارجة ، تحوى كل ما تختبره حياتنا ، وكل ما نتعلّمه من علوم ولغات ، وكل المعارف الأخرى ، ثم هناك الذاكرة الاحتياطية ، التى يخزن فيها العقل كل ما نمرّ به ، دون أن نتوقّف عنده طويلاً ، أو كل ما لا يتم استخدامه

بصفة دورية ، وهذه الذاكرة الأخيرة هى ما نحتاج إليه الآن(*) .

سألها قائد المستشفى مبهورًا :

ـ كيف ؟!

أجابته فى حماس :

ـ بوساطة برنامج الكمبيوتر هذا ، يمكن إخضاع أى شخص لحالة من التنويم المغنطيسى ، لو أنه لم يقاوم هذا(**) ، وعبر هذا التنويم المغنطيسى ، يمكن أن نوقظ الذكريات النائمة ، فى تلافيف مخه ، أو نضىء الأماكن المظلمة منه ، ونستحثه على استرجاع كل ما رآه أو سمعه ، أو حتى لمسه ، فى أية لحظة من عمره .

سألها مبهورًا :

ـ وبم يمكن أن يفيدكم هذا ؟!

أجابه الدكتور (حجازى) هذه المرة :

(*) حقيقة .

(**) معظم الدراسات ، التى أجريت حول التنويم المغنطيسى ، تؤكد أنه من غير الممكن إخضاع شخص ما للتنويم المغنطيسى دون إرادته ، ومن العسير أيضًا إقناعه ، وهو تحت تأثيره ، بالقيام بأى عمل ، يتنافى مع طبيعته الأصلية ، أو معتقداته القوية .

ـ عدونا الغامض سعى لتدمير كل ما يتعلّق بالمادة المضادة ، التى يمكن أن تعيد أفراد الفريق إلى حالتهم الأولى ، ولكن (نشوى) رأت تقرير المعامل ، قبل أن يتم تدميره ، وبإنعاش ذاكرتها ، من خلال التنويم المغنطيسى ، يمكننا أن نحصل على تركيبة المادة المضادة .

بدا الانبهار أكثر على وجه قائد المستشفى ، وهو يقول :

ـ أظن أنه سيسعدنى كثيرًا أن أرى هذه التجربة بنفسى .

غمغم الدكتور (حجازى) :

ـ بالتأكيد .

ثم أشار إلى (نشوى) ، قائلاً :

ـ يمكننا أن نبدأ .

تنحنحت فى توتر ، ثم جلست أمام شاشة الكمبيوتر ، وتمتم الدكتور (حجازى) ، وهو يضغط أزراره :

ـ لست بمهارة (رمزى) بالتأكيد ، فى هذا المضمار ، ولكن أظننى أستطيع إنجازه على نحو جيّد .

غمغمت (نشوى) :

ـ بالتأكيد .

ضغط الدكتور (حجازى) زرًا أخيرًا ، فأضيئت شاشة الكمبيوتر بضوء قوى ، ينبع من مركزها تمامًا ، وراحت تومض على نحو منتظم ، قبل أن تتكوّن فى منتصفها دائرة بنفسجية ، أخذت تتسع وتتسع ، وترسم مع حركتها مجموعة أخرى من الدوائر الزرقاء والخضراء ..

وفى نفس الوقت ، بدأ الدكتور (حجازى) يتحدّث بصوت هادئ عميق ، وهو يقول :

ـ استرخى تمامًا .. دعى أطرافك كلها تستكين وتهدأ .. اطردى كل شىء عن ذهنك ، و ..

قبل أن يتم عبارته ، هتف قائد المستشفى بغتة ، وهو يشير إلى النافذة المقابلة له عبر الحجرة :

ـ رباه ! .. ما هذا ؟!

انتزع هتافه (نشوى) من استكانتها ، فوثبت من مقعدها ، واستدارت مع الدكتور (حجازى) يحدقان فى النافذة ..

ثم انطلقت من حلق (نشوى) شهقة قوية ..

وفى نفس اللحظة ، التى انطلقت فيها شهقتها ، اقتحمت كرة من النار نافذة الحجرة ، وانقضت مباشرة على آخر أعضاء الفريق ..

على (نشوى) ..

وصرخ الدكتور (حجازى) :

ـ احترسى .

ولكن (نشوى) لم تتحرك قيد أنملة ..

لقد تجمدت فى مكانها ، وحدقت فى كرة النار بكل انفعالاتها ..

واتسعت عيناها عن آخرهما ..

وانقضت كرة النار ، متتبعة البصمة الجينية ، التى يحويها برنامجها ..

وفى أبعد مبنى فى المكان ، سمع الجميع دوى الانفجار المكتوم ..

ثم هبط على المكان صمت رهيب ..

رهيب للغاية .

★ ★ ★

٦ ـ الإشـــارة ..

« تم إيقاف كل مصادر الطاقة داخل المركبة .. » .

نطق الدكتور (جلال) العبارة فى انفعال ، وهو يواجه القائد الأعلى ، الذى بدا عليه الانفعال ، وهو يقول :

ـ هل يمكننا أن نلقى نظرة عليها الآن ؟!

أجابه الدكتور (جلال) فى حماس :

ـ بالتأكيد .. إنها صورة مطوّرة من تصميمات مركبتنا ، مما يؤكد أنها قادمة من مستقبلنا بالفعل ، ولقد بدأ رجالنا يوصلون آلات المراقبة ، حتى يمكنك أن ..

قاطعه القائد الأعلى فى حزم :

ـ سأذهب لإلقاء نظرة عليها بنفسى ..

بدا القلق على وجه الدكتور (جلال) وهو يقول :

ـ ولكن ماذا لو ..

قاطعه القائد الأعلى مرة أخرى :

ـ سأذهب بنفسى .

كان ممر متحرك يقودهما إلى مبنى مركز الأبحاث ، عندما سأل القائد الأعلى :

ـ ما موقف فريق الرائد (أيمن) الآن ؟!

أجابه الدكتور (جلال) :

ـ لقد زوّدتهم بكل ما لدينا من أجهزة تعقُّب حديثة ، وهم يسعون الآن لتعقُّب الآثار الحرارية ، التى تركها ذلك الشخص خلفه ، عندما فرّ بغلافه الخفى ، من المستشفى العسكرى .

سأله القائد الأعلى :

ـ وهل تعتقد أن لديهم فرصة للنجاح ، فى مهمتهم هذه ؟!

تنهّد الدكتور (جلال) ، مجيبًا :

ـ فرصة لا تزيد على الستين فى المائة .

مطّ القائد الأعلى شفتيه ، مغمغمًا :

ـ فليفعل الله (سبحانه وتعالى) ما فيه الخير .

لم يتبادلا حرفًا آخر ، حتى بلغا قاعة الفحص ، التى عادت كل أجهزتها الإليكترونية للعمل ؛ لفحص المركبة المجهولة ، التى بدت بالفعل كنسخة مطوّرة ، من مشروع إنتاج آلة الزمن الأولى ..

وعلى شاشة الكمبيوتر ، ظهر رسم مجسّم للمركبة ، وهو يدور حول نفسه ، لتوضيح كل أسطحها وزواياها ، فأشار إليه الدكتور (جلال) ، قائلاً :

ـ مقاييسها انطبقت على تصميمات مركبتنا ، بنسبة ستة وتسعين فى المائة .

غمغم القائد الأعلى :

ـ مدهش :

أشار الدكتور (جلال) إلى المركبة ، التى انتشر الخبراء داخلها وحولها ، وقال :

ـ أجهزتها تتشابه كثيرًا مع أجهزتنا ، ولكنها أكثر تطوّرًا ، كما أنها تستخدم برامج تعتمد على نفس الأسس ، التى نعتمد عليها ، وهذا يثبت أنها بالفعل من مستقبلنا .

هزّ القائد الأعلى رأسه ، مغمغمًا :

ـ وهذا يعيدنا إلى السؤال نفسه .. لماذا يسعى مستقبلنا للقضاء علينا ؟!

قال الدكتور (جلال) ، محاولاً تفسير الموقف :

ـ ولماذا نفترض أن مستقبلنا يسعى للقضاء علينا ؟! إن ذلك القادم من الغد يسعى للقضاء على (نور) وفريقه فحسب .

قال القائد الأعلى فى توتر :

ـ لماذا ؟! لماذا (نور) وفريقه ؟! ما الذى يدفع مستقبلنا إلى السعى خلفهم ؟!

مطّ الدكتور (جلال) شفتيه ، قائلاً :

ـ ربما هى محاولة انتقام ، من شىء ما فعلوه بقريب أو نسيب لذلك المجهول من قبل ، أو سيفعلونه به فى المستقبل القريب !!

هزّ القائد الأعلى رأسه مرة أخرى ، قائلاً :

ـ الأمر ليس بهذه البساطة يا دكتور (جلال) .. من الواضح أن الفارق بيننا وبين زمن ذلك العدو ليس بالكبير ، لأن ما أتى به مجرّد أسلحة وأجهزة أكثر تطوّرًا مما لدينا ، وطبقًا لسرعة عجلة التطوّر ، فهذا يعنى أنه أتى من زمن يعقبنا بخمسة أو عشرة أعوام فحسب ، وعلى الرغم من أننا سنكون قد انتجنا مركبة الزمن بإذن الله (سبحانه وتعالى) ، فى تلك الفترة تقريبًا ، إلا أنه من المؤكّد أنها لن تكون متاحة لأى شخص ، بل ستظل لسنوات أخرى طويلة سلاحًا بالغ الخطورة إلى حد كبير ، كما أن خريطة الزمن نفسها لن تتاح ، حتى بالنسبة للخاصة ، إلا بعد تجارب طويلة وشاقة .

بدا القلق على الدكتور (جلال) ، وهو يتساءل :

ـ ماذا تعنى بهذا أيها القائد ؟!

أجابه القائد الأعلى فى حزم :

ـ أعنى أنه طبقًا للعقل والمنطق ، فإن ذلك المستقبلى ، الذى يسعى خلف (نور) وفريقه ، قد أتى إلينا فى مهمة خاصة .

ثم انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يضيف :

ـ مهمة رسمية .

شهق الدكتور (جلال) ، مع تلك العبارة الأخيرة ، واتسعت عيناه فى ذعر واستنكار ، وهو يحدّق فى وجه القائد الأعلى ، وهمّ بقول شىء ما ، عندما هتف أحد الخبراء بغتة :

ـ سيّدى .. نعتقد أنه هناك ما ينبغى أن تلقى نظرة عليه .

تبادل القائد الأعلى والدكتور (جلال) نظرة متوترة ، ثم اندفع كلاهما إلى المركبة ، وما إن أصبحا داخلها ، حتى هتف الأخير .

ـ ما الذى ينبغى أن نلقى نظرة عليه ؟!

أشار الخبير إلى جزء مرتفع ، فى مؤخرة المركبة ، قائلاً :

ـ لقد أعدنا الطاقة إليها ، بعد أن فصلنا كل أجهزة القيادة والأسلحة الدفاعية منها ، ثم عثرنا على هذه الخزانة السرية ، وعندما نجحنا فى فتحها ، كانت أمامنا مفاجأة مذهلة .

قال القائد الأعلى فى صرامة محتدّة :

ـ ما الذى وجدتموه بالضبط ؟!

ضغط الخبير زرًّا خفيًا فى جدار المركبة ، وهو يقول :

ـ هذا .

ومع ضغطته ، انفتح غطاء الخزانة السرية فى بطء ، وانكشف ما داخله ..

وكان الخبير على حق تمامًا ..

فالمفاجأة ، بالفعل ، مذهلة ..

بل وأكثر من مذهلة ..

★ ★ ★

غمر الوهج الأحمر مكتب قائد المستشفى العسكرى ، إثر انفجار كرة النار ، التى أطلقت كل المادة الكيماوية داخلها فى وجه (نشوى) ، التى اقتلع الانفجار جسدها ، وألقاها مترين إلى الخلف ، لترتطم بالجدار ، ثم تسقط عى وجهها ..

وبكل هلعه وذعره ، صرخ الدكتور (حجازى) :

ـ لا .. ليس (نشوى) .. لا ..

ومع صرخته ، اندفع نحوها ، وراح يضرب الهواء بيديه ، وكأنما يحاول إزاحة ذلك الوهج ، فى حين هتف قائد المستشفى ، وهو يقفز إلى هاتف الطوارئ :

ـ ماذا يحدث هنا ؟! رباه ! ماذا يحدث هنا ؟!

والتقط سمّاعة الهاتف ، صائحًا بلهجة آمرة :

ـ خطة الطوارئ القصوى .. الآن ..

وبينما يطلق أوامره ، كان الدكتور (حجازى) ينحنى نحو (نشوى) ، فى محاولة لإسعافها ، ولكنه لم يكد يقترب منها ، حتى فوجئ بها تهتف به :

ـ لا .. لا تلمسنى .

تراجع بحركة حادة ، وهو يهتف :

ـ رباه !.. أأنت بخير ؟!

نهضت ، قائلة ، والوهج يتلاشى فى سرعة :

ـ نعم .. أنا بخير .. اطمئن .

سألها مبهورًا :

ـ ولكن كيف ؟!

أجابته ، وهى تحرك أصابعها فى خفة ، لالتقاط غلاف رقيق شفاف عن جسدها :

كان الدكتور (حجازى) ينحنى نحو (نشوى) ، فى محاولة لإسعافها .

ـ إنها فكرة أبى .. لقد اقترح أن أحيط جسدى بغلاف واق ، من الأغلفة التى يستخدمها أطباء أبحاث الفضاء ، حتى لا تمس المادة الكيماوية بشرتى ، أو يمتصها جسدى .

كانت تنتزع ذلك الغلاف الرقيق ، غير الملحوظ ، فى دقة وحرص شديدين ، فحدّق فيها ذاهلاً ، وهو يتساءل :

ـ وكيف حصلت على ذلك الرداء هنا ؟! إننى لم ألحظ وجوده قط ، حتى بدأت فى انتزاعه عن جسدك !

أجابته ، وهى تواصل نزع الغلاف عن جسدها ، فى حرص بالغ :

ـ هذا هو الغرض منه .. ألا يسبب أى عائق لمرتديه ، فهو رقيق للغاية ، وقوى أيضًا ، فى الوقت ذاته ، كما أنه لا يسمح بعبور أية ميكروبات أو مواد كيماوية أخرى ، فى حين يؤمّن عملية التنفس الهادئ ، فى الوقت نفسه ، ولقد عثرنا على رداءين منه هنا ، فى قسم أبحاث الطوارئ والسموم .

كانت قد انتهت من انتزاع الرداء كله ، فأسرع الدكتور (حجازى) يلتقط علبة محكمة من حقيبته ،

وعاونها على وضع الرداء داخله ، بكل ما التصق به من مادة كيماوية غامضة ، قبل أن يهتف :

ـ فكرة عبقرية بالفعل .

ومع آخر حروف كلماته ، اقتحم رجال أمن المستشفى المكان ، فهتف بهم الدكتور (حجازى) :

ـ مهلاً ، لا تحاولوا الدخول ، قبل أن يتم تأمين المكان جيدًا .

توقف الرجال فى تردد وارتباك ، فهتف بهم قائد المستشفى .

ـ إنه على حق .. كلنا هنا بخير .. أرسلوا فى طلب خبراء المعامل .. هيا .

أسرع رجال الأمن لتلبية أوامر قائدهم ، فى حين قالت (نشوى) فى توتر :

ـ إنه لن يكتفى بهذه المحاولة الفاشلة ، وسيعاود الكرّة حتمًا ، وفى المرة التالية ، سيحاول تلافى أسباب الفشل ، وربما تكون لديه وسيلة لتجاوز الغلاف الواقى .

قال الدكتور (حجازى) بسرعة :

ـ هذا يعنى أنه من الضرورى أن نجد وسيلة أخرى لحمايتك .

أمسكت يده بقوة ، قائلة :

ـ بل يعنى حتمية أن نعمل بأقصى سرعة ، قبل أن يبدأ محاولته الثانية .

هتف فى دهشة :

ـ وماذا عن حمايتك ؟!

أجابت فى حزم :

ـ حماية الجميع أكثر أهمية .

ثم استدارت إلى جهاز الكمبيوتر ، وعادت تضرب أزراره فى سرعة ، مستطردة بكل اللهفة :

ـ دعنا نبدأ برنامج التنويم المغنطيسى مرة أخرى .

أجاب فى سرعة :

ـ فليكن .

انطلق أزيز متصل ، قبل أن يتحرك من مكانه ، فانعقد حاجبا (نشوى) فى توتر ، وهى تغمغم :

ـ ما هذا بالضبط ؟!

سألها قائد المستشفى :

ـ ماذا حدث ؟!

أجابته ، وهى ترفع ساعتها إلى وجهها :

ـ إنه جهاز الاتصال الخاص بالفريق .. المفترض أن نبذبته خاصة وسرية للغاية ، ولا يستخدمها سوى أفراد الفريق ، وكلهم يرقدون هنا، عاجزين عن ضغط زر واحد .

قالتها ، ثم ضغطت زر الاتصال ، قائلة :

ـ من المتحدّث ؟

أتاها صوت جاف عميق ، يقول بمزيج من الغضب والسخرية :

ـ إذن فقد نجوت من كرتى النارية .

انتفض جسدها فى عنف ، واتسعت عيناها عن آخرهما ، وهى تهتف :

ـ أنت ؟!

أجابها بنفس الصوت واللهجة :

ـ نعم .. هو أنا يا عبقرية الفريق .. يا ابنة قاهر الغزو .. أنا الشخص الذى لن يمكنكم هزيمته أبدًا ؛ لأنه يعلم كل شىء عنكم .. حتى ما تحاولون إخفاءه طوال الوقت .

قالت فى عصبية :

ـ هل تعلم أننى أستطيع ، بوساطة اتصالك هذا ، أن أحدّد موقعك ، و ..

قاطعتها ضحكة ساخرة عالية ، قبل أن يقول ذلك الشخص :

ـ موقعى ؟! ومن قال : إننى أحاول إخفاء موقعى يا عبقرية الفريق ؟! على العكس تمامًا .. لقد اتصلت بك خصيصًا ، لأخبرك أين أنا .

سرت فى جسدها موجة عنيفة من التوتر ، وهى تقول :

ـ وأين أنت بالضبط ؟!

أطلق ضحكة ساخرة أخرى ، قبل أن يجيب فى شراسة :

ـ هناك من يمكن أن يخبرك أفضل منى .

انعقد حاجباها فى شدة ، وهى تتساءل عما يعنيه ، ولكن تساؤلها هذا لم يستغرق لحظة واحدة ، ففى اللحظة التالية مباشرة ، انبعث من جهاز الاتصال فى ساعتها صوت (مشيرة) ، وهى تقول فى ذعر شديد :

ـ (نشوى) .. إنه هنا .. ذلك المجرم ، الذى حاول قتل (أكرم) فى المستشفى .. لقد عدت من هناك لأجده بانتظارى .. لقد قتل مساعدى ، ويسيطر على (محمود) الصغير .. إنه هنا يا (نشوى) ..

وبمنتهى العنف ، سقط قلب (نشوى) بين قدميها ..
كالذبيح ..

★ ★ ★

« من الرائد (أيمن) إلى القيادة .. تم تحديد وكر العدو ، ونحن نحيط به الآن .. » .

همس الرائد (أيمن) بالعبارة ، وهو يتحرك فى خفة ، نحو فيلا صغيرة منعزلة ، فى أحد أطراف (القاهرة) الجديدة ، وأشار إلى فريقه ، الذى تحرك أفراده فى سرعة وبراعة ؛ ليحيطوا بالفيلا ، والرائد (أيمن) يكمل ، عبر جهاز الاتصال المحدود :

ـ أجهزة الرصد والتتبُّع قادتنا إلى هنا .. لقد سجلنا الانبعاث الحرارى للجسد الخفى ، الذى غادر المستشفى العسكرى ، إثر ذلك الاعتداء ، وتتبعناه إلى هنا، وننتظر الإذن بالهجوم .

أتاه صوت رئيسه المباشر ، يقول :

ـ لا تحاول الهجوم الآن أيها الرائد .. انتظر الإمدادات .. أكرِّر .. لا تحاول الهجوم الآن .

همس (أيمن) معترضًا :

ـ إننا هنا الآن ، ولدينا ما يكفى للهجوم .

أتاه صوت رئيسه المباشر ، مفعمًا بالغضب والصرامة :

ـ انتظر الإمدادات .

زفر (أيمن) فى توتر ، وهو يقول :

ـ فليكن .. سننتظر الإمدادات .

لم يكد يكمل عبارته ، حتى التقطت أجهزته إشارة غير مألوفة ، على نحو مباغت ، جعله يهتف :

ـ ما هذا بالضبط ؟!

سأله رئيسه المباشر ، عبر جهاز الاتصال المحدود :

ـ ماذا حدث عندك أيها الرائد ؟!

انعقد حاجبا (أيمن) فى شدة ، وهو يتطلَّع إلى الفيلا فى توتر شديد ، مجيبًا :

ـ هناك أمر غريب يحدث .. لقد أضيئت نافذة صغيرة أعلى الفيلا ، وأجهزتنا كلها تتلقَّى إشارة عجيبة للغاية .

هتف به رئيسه :

ـ تراجع أيها الرائد .. انسحب وفريقك من منطقة الهدف على الفور .

قال (أيمن) فى عصبية :

ـ ولماذا نتراجع ؟! إننا نحاول أن ..

قبل أن يتمّ عبارته ، انطلقت من حلقه شهقة قوية ، واتسعت عيناه عن آخرهما ، وهو يحدّق فى كرة مضيئة كبيرة ، عبرت تلك النافذة الصغيرة أعلى الفيلا ، وتعلّقت فى الهواء لحظة ، هتف خلالها رئيسه ، وكأنما يشاهد ما يحدث بنفسه :

ـ انسحب أيها الرائد .. انسحب بأقصى سرعة .. انسحب باللّه عليك .. انسحب .

ومع آخر هتافاته ، انفجرت الكرة فجأة ، وانطلقت منها عدة كرات نارية ، تفرّقت بسرعة مخيفة ..

ثم انقضت على أفراد فريق الرائد (أيمن) ..

بمنتهى القوة ..

والعنف ..

والشراسة ..

وبحركة آلية سريعة ، تخلّى (أيمن) عن جهاز الاتصال ، وانتزع مسدسه الليزرى من غمده ، وهو يهتف بانفعال غامر :

ـ يا إلهى ! .. يا إلهى ! ..

وأمام عينيه ، رأى كرة من النار تنفجر فى صدر أحد أفراد فريقه ، وتطيح به على نحو مخيف ، وأخرى تطارد فردًا ثانيًا ، وثالثة تنقض على آخر فى عنف ..

ثم رأى واحدة من كرات النار تتجه نحوه مباشرة ..

وصرخ (أيمن) ، وهو يرفع مسدسه الليزرى ، ويطلق أشعته نحوها :

ـ رباه ! .. إنه يهاجمنا جميعًا فى آن واحد .

انطلقت أشعة مسدسه مرة ..

وثانية ..

وثالثة ..

وفى كل مرة كانت ترتطم بالكرة ، التى تتألّق فى قوة ، ثم تواصل طريقها بسرعة أكبر ..

ومع شعوره بعدم جدوى هذا ؛ استدار (أيمن) ، وانطلق يعدو بأقصى سرعته ، محاولاً بلوغ سيارته الخاصة ، وتشغيل درعها الواقى ..

ولكن الكرة النارية لحقت به بسرعة مخيفة ..

ثم ارتطمت بظهره ..

وانفجرت فى عنف ..

ومع الانفجار ، طار جسد (أيمن) على نحو مخيف ، حتى إنه تجاوز سقف سيارته ، وعبرها بسرعة رهيبة ، قبل أن يهوى أرضًا بمنتهى العنف .. ومن جهاز الاتصال المحدود ، المعلّق بيده ، انبعث صوت رئيسه المباشر ، وهو يهتف بتوتر بالغ :

ـ ماذا يحدث عندك يا (أيمن) .. ماذا يحدث عندك ؟!

فتح (أيمن) عينيه فى صعوبة ، وحاول أن يقول شيئًا ما ..

أى شىء ..

ولكن الألم كان رهيبًا ..

والشلل كان يسرى فى أطرافه بسرعة ..

وعلى الرغم من هتاف رئيسه ، الذى ينبعث بصفة متصلة ، من جهاز الاتصال المحدود ، فإن (أيمن) لم يسمع شيئًا ..

لقد تثاقل جفناه ..

وانهارا ..

ثم انتشر الظلام أمام عينيه المفتوحتين بسرعة ..

حتى شمل كل شىء ..

بلا استثناء ..

★ ★ ★

لثوان ، لم تستطع (نشوى) النطق بحرف واحد ، وقد تجمّدت مشاعرها عن آخرها ، وتجمّدت معها كل خلية فى جسدها ، و (مثيرة) تصرخ :

ـ إنه يسيطر على (محمود) الصغير .. يسيطر علينا جميعًا .

ثم انطلقت منها صرخة مذعورة ، نقل جهاز الاتصال بعدها صوت ذلك العدو ، وهو يقول ، بنفس اللهجة العصبية :

ـ أظنك قد استوعبت الموقف الآن يا عبقرية الفريق .

ارتجفت شفتا (نشوى) ، وهى تغمغم :

ـ نعم أيها الوغد .

هتف بها الدكتور (حجازى) ، فى توتر بالغ :

ـ إنه هو .. أليس كذلك ؟!

أشارت إليه بالصمت ، وهى تقول فى عصبية بالغة ، عبر جهاز الاتصال الخاص :

ـ كيف يمكن أن ينحدر جاسوس مستقبلى مثلك إلى هذا الدرك ، فيتحوّل إلى خاطف أطفال حقير ؟!

أجابها فى عصبية زائدة :

- جاسوس مستقبلى ؟! إذن فقد أدركتم نصف الحقيقة .. عجبًا ! لقد أشار تاريخكم إلى أن (نور) وحده كان عبقرى الاستنتاج فى الفريق .

قالت فى حدة :

- وما زال ، وسيظلّ كذلك .. لقد كشف أمرك ، وفضح خطتك كلها .

مضت لحظة من الصمت ، قبل أن يقول العدو :

- لست أظن هذا .. كل ما كشفتموه هو أننى من المستقبل ، وهذا وحده لا يعنى الكثير ، ما لم تدركوا النصف الآخر .

سألته فى حذر :

- وما النصف الآخر ؟!

أجاب فى شراسة :

- ماذا تفعلين بالضبط ؟! هل تحاولين إضاعة الوقت ، أم أنك تسخرين من ذكائى ؟!

قالت فى غضب :

- بل ما الذى تفعله أنت بالضبط ؟! هل فشلت فى القضاء على الكبار ، فاستدرت لتحارب الأطفال ؟!

قال فى شراسة شديدة :

- اسمعينى أيتها المتحذلقة ، وكفى عن هذه السخافات الأنثوية .. إننى لم آت إلى هنا، ولم أسيطر على صغيرك ، لنتحدّث عبر جهاز اتصالكم الخاص هذا .. إنها ، وبكل وضوح ، وسيلة لاستعادة السيطرة على الأمور .

قالت فى عصبية :

- إذن فأنت تعترف بأنك قد فقدت السيطرة على الأمور .

هتف فى حنق :

- هذا لأنكم عنيدون أكثر مما ينبغى .. لقد كان كل شىء يسير على ما يرام ، وكان من المفترض أن تتم المهمة على خير ما يرام ، طبقًا للجدول الموضوع ، ولكنكم أفسدتم كل شىء .. كل شىء .

قالت فى توتر :

- لذا فقد ..

قاطعها بصرخة هادرة :

- اصمتى ، واستمعى إلىّ جيّدًا ..

انعقد حاجباها فى توتر بالغ ، فى حين تابع هو فى حدة :

ـ لو أردت استعادة ابنك حيًا ، فعليك أن تضعى خدماتك كلها تحت تصرفى .

هتفت مستنكرة .

ـ ماذا ؟! هل تطلب منى خيانة فريقى وحاضرى ؟!

قال فى شراسة :

ـ بل أطلب منك أن تطيعى أوامرى بلا مناقشة ، وإلا ..

قالت فى عصبية :

ـ وإلا ماذا ؟!

أجاب فى صرامة شديدة :

ـ وإلا فسأذبح ابنك بلا رحمة .

عاد قلبها يهوى بين قدميها ، وكادت أصابعها تنغرس فى جهاز الاتصال ، وهى تقول فى حدة ، محاولة التظاهر بالشجاعة :

ـ لن تجرؤ .

جاوبتها ضحكة ساخرة ، عصبية ، عالية ، شرسة ، قبل أن يقول :

ـ هل تظنين هذا ؟!

ثم سمعت صوت (مشيرة) تصرخ ، فى ذعر وألم ، على نحو يوحى بأن ذلك الشخص يجذبها فى قسوة شديدة ، ثم بدا صوتها واضحًا ، وهى تصرخ فى رعب :

ـ إنه قادر على فعلها يا (نشوى) .. صدقينى .. إنك لم ترىْ كيف ذبح مساعدى المسكين ، دون أن يطرف له جفن .

قالتها (مشيرة) ، ثم صرخت مرة أخرى ، على نحو يوحى بأن ذلك العدو قد استخدم معها القسوة ثانية ، قبل أن ينبعث صوته هو ، عبر جهاز الاتصال الخاص ، وهو يقول فى صرامة شرسة :

ـ أريدك هنا ، بعد عشرين دقيقة فحسب ، وقبل أن تشرق الشمس ، ودون أن يعلم مخلوق واحد بما دار بيننا .. عشرون دقيقة ، وبعدها سأذبح ابنك .

وأنهى الاتصال فى عنف ، فامتقع وجه (نشوى) على نحو مخيف ، وزاغت عيناها فى محجريهما ، مما دعا الدكتور (حجازى) إلى أن يسألها فى توتر :

ـ ماذا حدث يا بنيتى ؟! ماذا يريد ذلك الوغد ؟!

تردّد سؤالاه فى رأسها ، وكأنهما يأتيان من أعمق أعماق الكون ، وراح ذهنها يستعيد عشرات المشاهد لوالديها ، وزوجها ، و (أكرم) ، و (مشيرة) ..

ثم احتلّت صورة واحدة كياتها كله ..

صورة ابنها (محمود) ..

وفى نفس اللحظة ، سألها الدكتور (حجازى) فى إلحاح :

ـ ماذا ستفعلين يا بنيتى ؟!

سالت الدموع من عينيها ، وهى تغمغم :

ـ يبدو أنه ليس لدى خيار يا دكتور (حجازى) .

نطقتها ، وتفجّرت الدموع من عينيها فى غزارة ..

نعم .. ليس لديها خيار ..

على الإطلاق .

★ ★ ★

٧ ـ قاتل من المستقبل ..

لم يكن من السهل أبدًا أن يستوعب الجميع هذه المفاجأة المذهلة ..

لذا ، فقد هبط على القاعة كلها صمت رهيب مهيب ، والكل يحدّق فى تلك الخزانة الزجاجية ، التى يحملها الرجال من داخل المركبة الزمنية ، وفى الجسد المسجى داخلها ، فى صمت وسكون تامين ..

ومن كل العيون ، أطلّ مزيج من الذهول والحيرة والاضطراب والتوتر ..

مزيج لم يختف لحظة واحدة ، حتى استقرّت الخزانة الشفافة فوق قاعدة كبيرة ، فى ركن المكان ، وبدا الجسد داخلها واضحًا جليًا ، مع الإضاءة المباشرة ..

وفى توتر ، قطع القائد الأعلى ذلك الصمت الرهيب المهيب ، عندما دلف الدكتور (جلال) إلى القاعة ، وسأله :

ـ هل تأكّدت من أنه هناك ؟!

لوّح الدكتور (جلال) بيده ، مجيبًا :

ـ نعم .. إنه هناك ، ولم يغادر المكان قط ، منذ وصل إلى المستشفى .

ازداد انعقاد حاجبى القائد الأعلى ، وهو يعيد بصره إلى ذلك الجسد ، داخل الخزانة الزجاجية ، مغمغمًا :

ـ عجبًا ! .. من هذا إذن ؟!

أشار الدكتور (جلال) إلى الجسد بدوره ، قائلاً :

ـ بل فلنقل : ما هذا ؟! ، حتى نتيقّن مما إذا كان هذا الشيء بشريًا أم ماذا ؟!

التفت إليه القائد الأعلى ، يسأله :

ـ هل اتصلت بخبراء الفحوص البيولوجية ، وأخصائيى الأنسجة البشرية ؟!

أومأ الدكتور (جلال) برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ كلهم فى طريقهم إلى هنا .

سأله القائد الأعلى :

ـ هل تعتقد أن تلك الخزانة الزجاجية المحكمة ، تحوى غازًا ما أو أية مادة خاصة ، للإبقاء على ذلك الجسد سليمًا ؟!

أجابه الدكتور (جلال) :

ـ سيتم فحصها على الفور .

مع آخر حروف كلماته ، وصل فريق الخبراء الجديد ، فأشار إليهم الدكتور (جلال) ، على نحو جعلهم يتجهون إلى الخزانة الزجاجية ، ويبدءون عملهم على الفور ، فى حين مال هو على أذن القائد الأعلى ، قائلاً :

ـ لدى أخبار غير سارة ، بشأن الرائد (أيمن) وفريقه .

التفت إليه القائد الأعلى فى توتر شديد ، فتابع فى أسف :

ـ لقد توصّلوا إلى وكر العدو ، ولكن شيئًا ما هاجمهم هناك بمنتهى العنف .

سأله القائد فى قلق :

ـ وهل ..

أجابه الدكتور (جلال) ، قبل أن يتم عبارته :

ـ لم ينج من الموت سوى الرائد (أيمن) ، وخبيرة الاتصالات ، وكلاهما بحالة سيئة للغاية .

مطّ القائد شفتيه ، مغمغمًا :

ـ يا للخسارة !!

ثم عاد يسأل فى توتر :

ـ وماذا عن الوكر نفسه ؟!

أجابه الدكتور (جلال) :

أربع من فرق القوات الخاصة لدينا تحاصره الآن ، والحوامات الإليكترونية تستعد لإحاطته بشبكة إليكترومغنطيسية عازلة .

صمت القائد الأعلى بضع لحظات ، قبل أن يزفر متمتمًا :

ـ أتعشّم أن يفلح هذا .

أشار الدكتور (جلال) إلى المركبة الزمنية ، مغمغمًا :

ـ لقد أفلح معها .

أتاه فى هذه اللحظة صوت أحد الخبراء ، يقول :

ـ هذه الخزانة تحوى غازًا حافظًا ، مهمته الإبقاء على خلايا الجسد داخلها فى حالة سبات عميق .

سأله القائد الأعلى :

ـ هل يمكنكم التعامل مع ذلك الغاز ؟!

أجابه الخبير :

ـ بالتأكيد .. نحتاج إلى أمر بذلك فحسب .

أشار القائد الأعلى بيده ، قائلاً :

ـ لكم هذا .

بدأ الخبراء فى إفراغ الغاز من الخزانة ، بمنتهى الدقة والحرص ، وراح القائد الأعلى يتابعهم فى اهتمام ، وهو يسأل الدكتور (جلال) :

ـ ترى لماذا أحضر هذا الـ ... الشىء معه ؟!

غمغم الدكتور (جلال) ، وهو يتابع بدوره :

ـ هذا سيتوقّف على نتائج الفحص .

هزّ القائد الأعلى رأسه ، مغمغمًا :

ـ السؤال الذى يشغلنى الآن هو لماذا ؟! لماذا أحضره معه ؟! لماذا هو بالذات ؟!

جاوبه الدكتور (جلال) بهز رأسه ، دون أن ينبس ببنت شفة ، وهو يتابع عمل الخبراء بدوره ..

كانوا قد انتهوا من فتح الخزانة الزجاجية الشفافة ، وبدءوا فى أخذ العينات اللازمة ، من سوائل الجسم وخلاياه ، فى حين انشغل بعضهم فى فحص البصمات وقزحية العين ، والبشرة ..

وبينما يراقب القائد الأعلى عملهم ، دلف إلى المكان أحد ضباط الإدارة ، واقترب منه ، هامسًا :

ـ سيِّدى .. لقد تم اقتحام الوكر .

التفت إليه القائد الأعلى ، متسائلاً فى اهتمام بالغ :

ـ هل عثرتم عليه ؟!

هزّ الرجل رأسه نفيًا ، وهو يجيب :

ـ المكان كان خاليًا تمامًا ، ولقد أشعل اقتحامنا له جهاز أمن خاصًا ، نسف كل الأجهزة والمعدات داخله .

سأله القائد الأعلى فى غضب :

ـ لماذا لم يتمّ استخدام الشبكة العازلة ؟!

قلب الرجل كفيه ، مجيبا :

ـ لقد استخدمناها بالفعل يا سيِّدى ، ولكن يبدو أن الأجهزة والمعدات كانت مبرمجة بحيث يشتعل جهاز التفجير ، فور توقُّف إليكترونياتها عن العمل .

قال القائد الأعلى فى حدة :

ـ وكيف عملت إليكترونيات جهاز التفجير إذن ؟!

بدت الحيرة على وجه الضابط ، ممتزجة بالارتباك والتوتر ، فلوّح القائد الأعلى بيده ، قائلاً فى حنق :

ـ فليكن .. لقد اقتحمتم المكان ، ولم تعثروا عليه .. الأمر يسهل استيعابه ، على الرغم مما يثيره فى النفس من غضب .

غمغم الضابط :

ـ معذرة يا سيِّدى ، ولكننى تصوّرت أن ...

قاطعه القائد الأعلى فى غضب :

ـ فليكن .. فليكن .. هيا .. واصلوا عملكم ، وأبلغونى النتائج أوّلاً فأوّلاً .

انصرف الضابط لتنفيذ الأوامر ، فى حين غمغم الدكتور (جلال) :

ـ لقد قسوت عليه كثيرًا .. الرجال أدوا واجبهم كما ينبغى ، ولكن خصمهم ليس هينًا .

قال القائد الأعلى :

ـ وهذا ما يحنقنى .. إنها أوّل مهمة أتابعها ، منذ تسلّمت منصبى هذا ، وأجد نفسى أمام كل هذا الغموض .

زفر الدكتور (جلال) ، متمتمًا :

ـ نعم .. كل هذا الغموض .

عادا يتابعان الخبراء مرة أخرى ، وهم يفحصون ما حصلوا عليه ، وتدور بينهم مناقشات حارة ، قبل أن يتجه كبيرهم نحوهما ، ويقول فى توتر :

ـ سيِّدى .. لسنا نستطيع استيعاب هذا ، ولكن النتائج كلها جاءت إيجابية ، بنسبة مائة فى المائة .

اتسعت عينا الدكتور (جلال) ، وهو يهتف :

ـ ولكن هذا مستحيل :

أما القائد الأعلى ، فقال فى عصبية :

ـ من هذا إذن ؟! ومن الآخر ؟! وأيهما من نعرف ؟!

قالها ، وهو يتجه فى خطوات واسعة سريعة نحو ذلك الجسد ، الذى تم إخراجه من الخزانة الشفافة ، وانعقد حاجباه أكثر وأكثر ، وهو يتطلّع إليها فى عصبية زائدة ..

هذا لأن ذلك الجسد ، المسجى فى ركن القاعة ، كان ، وطبقًا لكل الفحوص والتحاليل ، هو جسد قائد الفريق ، الراقد فى المستشفى العسكرى ..

جسد (نور) ..

المقدَّم (نور الدين محمود) ..

★ ★ ★

بدأ الشفق يتلوّن بألوان الشروق الأولى ، عندما توقّفت سيارة (نشوى) أمام منزل (أكرم) ، وهبطت منها هذه الأخيرة ، فى توتر ملحوظ ، وألقت نظرة فيما حولها ، قبل أن تتجه فى خطوات سريعة مضطربة إلى المنزل ، وتطرق بابه فى عصبية :

ولثوان ، بدا الموقف كله جامدًا صامتًا ، دون أن يستجيب أحد لطرقاتها ، حتى همت بطرق الباب مرة ثانية ، و ..

وفجأة ، انفتح الباب ، وبدت (مشيرة) على عتبته شاحبة ، ممتقعة ، زائغة العينين ، ولم تكد ترى (نشوى) ، حتى هتفت فى هلع :

ـ رباه ! لماذا أتيت ؟ إنه سيقتلنا جميعًا .

امتدّت يد من الداخل ، تقبض على عنقها ، فأطلقت صرخة ألم ورعب ، انتفض لها جسد (نشوى) ، واتسعت عيناها فى رعب ، عندما جذبت تلك اليد (مشيرة) إلى الداخل ، فى عنف وقسوة ، قبل أن يظهر وجه صاحبها ، وهو يقول فى صرامة :

ـ هيا .. ادخلى .

دلفت (نشوى) إلى المنزل فى سرعة ، وهى تسأله :

ـ أين (محمود) ؟!.. ماذا فعلت به ؟!

أغلق الباب خلفها فى قوة ، وهو يقول :

ـ ابنك بخير .

ثم استطرد فى صرامة :

ـ ما دمت تطيعين الأوامر .

قالت فى عصبية شديدة :

ـ أنت تعلم أننى مضطرة لهذا .

أطلق ضحكة شرسة ساخرة ، وهو يقول :

ـ كلنا مضطرون أيتها العبقرية .. كلنا .

سألته مرة أخرى فى حدة :

ـ أين (محمود) ؟!

أدار يده أمام جسده ، قبل أن يفرد ذراعه عن آخرها ، مشيرًا إلى الأريكة البعيدة ، وهو يجيب :

ـ هناك .

استدارت بكل كيانها ومشاعرها إلى حيث يشير ، وانطلقت من حلقها شهقة ، عندما وقع بصرها على ابنها ، وهو يرقد صامتًا ساكنًا ، فوق تلك الأريكة ، ثم لم تلبث أن اندفعت نحوه ، واحتضنته بكل لهفة الدنيا ، هاتفة :

ـ (محمود) .. واصغيرى .. ماذا فعل بك هذا الوغد ؟

قال العدو فى صرامة :

ـ لن يمكنه إجابتك الآن .

التفتت إليه فى شراسة غاضبة ، هاتفة :

ـ ماذا فعلت به ؟!

لوّح بذراعه على نحو مسرحى ، وهو يجيب :

ـ إنها تلك المادة الخاصة ، ذات العنصرين المجهولين .

اتسعت عيناها فى هلع ، وهى تهتف :

ـ أيها الـ ..

استوقفها بإشارة صارمة من يده ، وهو يقول :

ـ لا تجعلى هذا يقلقك ، فالمادة المضادة بحوزتى .. وستحصلين عليها عند انتهاء المهمة .

أطلّ غضب هادر من عينيها ، وهى تهتف :

ـ يا لك من حقير !

غمغمت (مشيرة) فى ألم :

ـ حقير صفة بسيطة ، إزاء ما سترينه منه ؟!

استدار إليها العدو فى حركة سريعة ، هاتفًا فى غضب :

ومع استدارته ، أفلت من يده قرص صغير ، ارتطم بها فى عنف ، فاقتلعها من مكانها ..

ـ اخرسى .

ومع استدارته ، أفلت من يده قرص صغير ، ارتطم بها فى عنف ، فاقتلعها من مكانها على نحو مخيف ، وهى تطلق صرخة ألم رهيبة ، قبل أن تسقط مرتطمة بأثاث منزلها ، وتستقر على الأرض فاقدة الوعى ..

وفى ذعر ، هتفت (نشوى) :

ـ رباه ! .. (مشيرة) .

التفت إليها العدو مرة أخرى ، صائحًا فى صرامة مخيفة :

ـ قفى .

بكت ، هاتفة :

ـ ماذا فعلت بها ؟!

أجابها فى صرامة :

ـ ستحيا .

ثم استطرد بلهجة جافة قاسية :

ـ وكذلك ابنك ؛ لو نفذت ما سأطلبه منك .

كانت تبكى فى مرارة ، وهى تقول :

ـ كيف أمكنك أن تعرّضه لتلك المادة الرهيبة ؟!

ابتسم فى سخرية وحشية ، وهو يقول :

ـ ليس هذا فحسب .. لقد غرست فى ذراعه أيضًا قنبلة .

كاد قلبها يتوقّف عن الخفقان ، وهى تهتف :

ـ قنبلة ؟!

أجابها فى قسوة أكثر :

ـ نعم يا عبقرية الفريق .. قنبلة .. قنبلة صغيرة ، فى حجم حبة الأرز ، ولكن قوتها التدميرية تكفى لتحويل صغيرك إلى أشلاء متناثرة ، عندما أضغط على ذلك المفجّر .

قالها ، وهو يفتح كفه ، فرأت كرة سوداء صغيرة فى راحته ، وهو يكمل بنفس القسوة والصرامة :

ـ كل ما يحتاجه الأمر هو ضغطه إصبع واحدة .

انهمرت دموعها أكثر وأكثر ، وهى تقول :

ـ أيها الـ ..

قاطعها فى غضب :

ـ كفى .. لن نضيع الوقت فى بكاء وعويل .. هناك مهمة عاجلة ينبغى إنجازها .

هتفت فى ألم :

ـ ألم تنه مهمتك بعد ؟! لقد دمّرت الجميع .. ماذا تريد أكثر من هذا ؟!

انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يجيب :

ـ العودة .

حدّقت فيه ، مردّدة :

ـ العودة ؟!

أجاب فى حدة :

ـ نعم .. العودة إلى الزمن ، الذى أتيت منه .. لو أوشكت طاقتى على النفاد ، ولابد أن يعلم الرؤساء ماذا حدث هنا .

قالت فى شىء من الحذر :

ـ الرؤساء ؟! من أرسلك إلينا ؟!

أطلّت قسوة باردة من عينيه ، وهو يقول :

ـ ليس هذا من شأنك .

ثم جلس على أقرب مقعد إليه ، وهو يتابع فى صرامة :

ـ لقد كنتم أكثر حذقًا من تصوُّرنا .. كلكم تصرّفتم بمهارة عجيبة .. من الواضح أنكم أفضل مما كنا نظن .

سألته مرة أخرى :

ـ من أنتم ؟!

تجاهل سؤالها تمامًا ، وهو يتابع :

ـ ولكن كل شيء يمكن إصلاحه ، عندما أعود من حيث أتيت ، ويعلم الرؤساء تفاصيل ما حدث هنا .. هذا سيفيدهم كثيرًا ، عندما يرسلون الآخر .

ردّدت بنفس الدهشة الحذرة :

ـ أى آخر ؟!

أجاب فى صرامة أخافتها :

ـ الشخص الذى سيعيد المهمة .

غمغمت :

ـ تقصد الذى سيكملها ؟!

هزّ رأسه نفيًا ، قبل أن يقول :

ـ بل الذى سيعيدها يا عبقرية الفريق ..

ثم مال إلى الأمام ، مستطردًا :

ـ هذه هى الفائدة الكبرى لمركبات الزمن .. كل شيء يمكن أن يعود إلى النقطة نفسها .. سأعود من حيث أتيت ، وسيعلم الجميع كل ما فعلتموه .. سيدركون ردود أفعالكم ، وأسلوب تفكيركم ، عندما

تواجهون ما واجهتموه .. وعندئذ سيمكن إرسال شخص آخر ، ليبدأ المهمة نفسها منذ البداية .. من نفس النقطة التى بدأت منها أنا ، ولكنه فى هذه المرة سيتميّز بأمر يفوق كل قدراتكم .

ومال أكثر ، وهو يضيف :

ـ سيعلم مسبقًا كيف تفكرون ، وماذا ستفعلون ..

ثم عاد يتراجع فى مقعده ، متابعًا فى حزم :

ـ وهكذا ستصبح الهزيمة مستحيلة .. تمامًا .

جفّت دموعها ، وهى تتطلّع إليه فى صمت ، ثم مالت بدورها ، تسأله :

ـ ماذا تريد منى بالضبط ؟!

أجاب فى سرعة وحزم :

ـ أنت خبيرة الكمبيوتر ، وعبقرية الفريق ، ويمكنك خداع كل أجهزة الكمبيوتر ، فى مركز الأبحاث .. أليس كذلك ؟!

قالت فى عصبية :

ـ بلى .. هل تريد بلوغ مركز الأبحاث ؟!

أجاب فى صرامة :

ـ ليس المركز كله .. أريد بلوغ قاعة الفحص الإليكترونى فحسب .

سألته فى دهشة :

ـ ولماذا ؟!

ظهر عليه الغضب بضع لحظات ، قبل أن يجيب :

ـ ألم أقل لك إنكم كنتم حاذقون أكثر مما ينبغى ؟! لقد نجحتم فى كشف وكرى ، وتدمير أجهزتى ومعداتى ، وأسرتم مركبة الزمن .. وسيلتى الوحيدة للعودة إلى حيث أنتمى ..

وانعقد حاجباه على نحو مخيف للغاية ، وهو يضيف :

ـ وأنا مصرّ على استعادة ما يخصنى .

اتسعت عيناها ، فى شىء من الارتياع ، وهى تحدّق فى وجهه ، ثم لم تلبث أن استدارت تتطلّع إلى ابنها ، الذى بدا كملاك نائم ، وانحدرت الدموع من عينيها مرة أخرى ، وهى تعود ببصرها إليه ، قائلة :

ـ ولكن بلوغ قاعة الفحص الإليكترونى ليس بالأمر السهل .. سنحتاج إلى عبور أربع بوابات أمن على الأقل .

قال فى صرامة :

ـ كلها تعمل بوساطة كمبيوتر الأمن .

ثم أضاف فى شراسة :

ـ الذى يمكنك اختراقه .

بدا عليها التوتر والاضطراب بعض الوقت ، وراحت تفرك كفيها فى عصبية شديدة ، قائلة :

ـ ولماذا لا تلجأ إلى قدرة التحوُّر الجينى ، وتتجاوز أجهزة الأمن ؟!

هزّ رأسه فى قوة ، وهو يقول :

ـ إنها قدرة خاصة بالآليات البيولوجية وحدها .. لقد طوّرناها حتى يمكنها أن تماثل البصمات الجينية للعينة ، التى يتم برمجتها بها ، أما نحن ، فقدراتنا محدودة بـ ...

بتر عبارته بغتة ، وعاد الغضب يحفر خطوطه على ملامحه ، وهو يكمل فى حدة :

ـ وهذا ليس من شأنك .

ثم نهض من مقعده فى حركة عنيفة ، وأشار إليها فى انفعال ، قائلاً :

ـ هيا .. ابدئى عملك .. ليس لدينا الكثير من الوقت .

ألقت نظرة أخرى على ابنها ، ثم قالت :

- ومتى ستعيد إلى ابنى وعيه ؟!

شدّ قامته ، مجيبًا :

- فور تشغيل مركبة الزمن .

خفضت عينيها ، ولاذت بالصمت والدموع بعض الوقت ، قبل أن تقول بصوت متحشرج مختنق :

- اتفقنا .

أشار إلى كمبيوتر (مشيرة) ، قائلاً بصرامة مخيفة :

- هيا .

جرّت قدميها جرًا إلى كمبيوتر (مشيرة) ، وجلست أمامه صامتة بعض الوقت ، والدموع تسيل من عينيها كالسيل ، ثم بدأت عملها ..

فى البداية ، كانت أصابعها تنتقل بين الأزرار فى بطء وتثاقل ، ثم لم تلبث أن اندمجت فى العمل ، وهى تخترق شبكة الأمن القومى ، ثم تنفذ منها إلى شبكة المعلومات السرية ، الخاصة بالمخابرات العلمية ، ثم انتقلت إلى مركز الأبحاث ..

وعندما بلغت كمبيوتر الأمن ، التفتت إلى عدوها ، قائلة :

- كيف تتصوّر عملية خداع كمبيوتر الأمن ؟! إنه يراجع بصمة القزحية ، وبصمات الأصابع ، وتوزيع المسام العرقية على البشرة ، وكلها أمور لا يمكن تزويرها .

أجابها فى صرامة :

- ولكن يمكن تغييرها .

سألته فى حذر :

- ماذا تعنى ؟!

اتجه إلى جهاز التعريف ، المتصل بالكمبيوتر ، وهو يقول :

- سنستخدم هذا الجهاز ، للحصول على بصمات أصابعى ، وبصمة قزحيتى ، وتوزيع مسامى العرقية ، ثم ننقل كل هذا إلى كمبيوتر الأمن ، حيث نستبدل بها بيانات هوية أى شخص آخر ، ممن يحق لهم بلوغ المستويات الأمنية العليا .. وعندما نذهب إلى هناك ، سيفحص الكمبيوتر بصماتى ، ويقارنها بالمسجّل لديه ، وسيجد أنها تنطبق على أحد المسموح لهم بتجاوز كل المستويات ، مما سيجعله يسمح لنا بالدخول ، حتى نبلغ قاعة الفحص الإليكترونى .

حدّقت فى وجهه لحظة ، قبل أن تشيح بوجهها ، متمتمة فى حنق :

ـ فكرة عبقرية .

غمغم :

ـ كل أفكارى كذلك .

ثم أشار إلى جهاز التعريف ، مستطردًا :

ـ هيا .

انهمكت لسبع دقائق كاملة فى نسخ كل بيانات هويته الرئيسية ، ثم قامت بنقلها إلى كمبيوتر الأمن ، ونفذت خطته كلها ..

وعندما انتهت من عملها ، التفتت إليه ، قائلة فى عصبية :

ـ كل شىء على ما يرام .. يمكنك الذهاب إلى مركز الأبحاث ، وستجد الطريق مفتوحًا أمامك ، دون أدنى مشكلات أو عقبات ، حتى قاعة الفحص الإليكترونى .

أجابها فى سخرية شرسة :

ـ تقصدين أنه يمكننا الذهاب إلى مركز الأبحاث .. إننى لن أذهب وحدى أيتها العبقرية .

هتفت فى جزع :

ـ وماذا عن ابنى ؟!

أجابها فى صرامة :

ـ سيبقى هنا .. لن يصيبه مكروه ، إلا لو حاولت التلاعب بى ..

ولتعلمى أن جهاز التفجير يعمل فى دائرة نصف قطرها خمسة كيلومترات ، وحتى عندما نصبح داخل قاعة الفحص الإليكترونى ، سيظل بإمكانى أن أضغط الجهاز ، وأنسفه فى لحظة واحدة .

هتفت مذعورة :

ـ لا .. لا تفعلها .. سأنفذ كل ما تطلبه .

أشار بيده ، قائلاً فى صرامة :

ـ هيا بنا إذن .. قلت لك : ليس لدينا الكثير من الوقت .

ولم تجب (نشوى) ..

لم تجب ؛ لأنها كانت تحدّق فى يده ، التى أشار بها ، وقد سرت فى جسدها ارتجافة قوية ، مع قشعريرة باردة كالثلج ..

ففى اللحظة ، التى سقط فيها الضوء على يده .. ولثانية واحدة أو أقل ، خُيّل إليها أن تلك اليد ليست بشرية ..

ليست كذلك على الإطلاق .

★ ★ ★

٨ ـ البديـــل ..

كل شيء كان يوحي بأن المهمة فاشلة لا ريب ..

صحيح أن المخابرات العلمية قد سيطرت على وكر ذلك العدو الغامض ، واستولت على المركبة الزمنية ، التي جاء بها ، إلا أنها لم تنجح بعد في العثور عليه ، أو حتى تحديد موقعه ..

ثم إن الغموض ما زال يحيط بالأمر كله ..

وعشرات الأسئلة ما زالت تملأ الرءوس ، دون تفسير منطقي ، أو جواب شاف ..

من هو ذلك العدو الغامض ؟!

إلى أية جهة ينتمي ؟!

من أرسله إلى حاضرنا ؟!

ولماذا ؟!

ثم إن ذلك الجسد ، الذي أحضره معه ، يفجّر بدوره بركانًا من التساؤلات ..

إنه جسد بشري ، يحمل كل صفات وسمات جسد (نور) ..

نفس نوع الأنسجة ..

بصمات الأصابع ..

بصمة القزحية ..

وحتى بصمته الجينية !!

فما الذي يمكن أن يعنيه هذا ؟!

أهو جسد (نور) ، كما سيصبح عليه في المستقبل ؟!

أو بمعنى أكثر دقة .. أهي جثته ؟!

ولو أنها كذلك ، فلماذا أحضرها ذلك الشخص معه ؟!

ما الذي ينوي فعله بها بالضبط ؟!

أية خطة شيطانية يسعى لتنفيذها ؟!

وهذا يقود إلى سؤال آخر ، بالغ الأهمية والخطورة ..

ما الذي يخفيه لنا مستقبلنا في ظل هذا ؟!

على أية صورة سنصبح ، حتى نسعى لتدمير جزء من ماضينا ، ولمحة من تاريخنا ، على هذا النحو ؟!

كانت كل هذه الأسئلة تعربد في رأس القائد الأعلى ، وهو يتطلّع إلى عملية فحص ذلك الجسد ، على شاشة كبيرة في حجرة مكتبه ، عندما انبعث صوت جهاز الأمن الخاص ، وهو يقول :

- الدكتور (جلال) يطلب الإذن بالدخول .

رفع القائد الأعلى رأسه ، متسائلاً.

- هل تم التيقُّن من هويته ؟!

أتاه ذلك الصوت الآلى ، يجيب :

- مرتان ، طبقًا للأوامر الأخيرة .

مطَّ القائد الأعلى شفتيه ، وزفر فى حرارة ، قبل أن يشير بيده ، مغمغمًا :

- فليكن .. دعه يدخل .

انفتح الباب فى هدوء ، وعبره الدكتور (جلال) ، وهو يقول ، ملوِّحًا بورقة فى يده :

- الأطباء والخبراء البيولوجيون وضعوا تقريرهم .

غمغم القائد الأعلى ، فى لهفة متوترة :

- حسن .

أجاب الدكتور (جلال) ، وهو يضع التقرير أمامه :

- إنها ليست جثة كما تصوَّرنا .. إنها أنسجة حية تمامًا .. كل المعدلات الحيوية نشيطة ومنتظمة .

هتف القائد الأعلى ، فى دهشة منزعجة :

- أتعنى أن تلك الـ ... اقصد ذلك الشىء حىّ ؟!

أومأ الدكتور (جلال) برأسه ، قائلاً :

- بالضبط .

نهض القائد الأعلى من خلف مكتبه ، فى توتر شديد ، وهو يقول :

- ولكن هذا مستحيل ! لا يمكن أن يكون قد أحضر (نور) نفسه من المستقبل .. أنت تعرف أولى قواعد السفر عبر الزمن .. لا يمكن أن يتواجد شخص ما مرتين ، فى الزمن نفسه ، إلا لو كان لم يولد بعد .

أشار الدكتور (جلال) بسبَّابته ، قائلاً فى حزم :

- الأمر لم يُحسم بعد .

قال القائد الأعلى فى حدة :

- وما الذى تنتظره لحسمه ؟!

أجابه بنفس الحزم :

- استكمال الفحوص .

سأله القائد الأعلى فى اهتمام :

- أما زالت هناك فحوص أخرى ؟!

أجابه الدكتور (جلال) :

- بالتأكيد .. لقد انتهى خبراؤنا من إجراء كل الفحوص الخارجية ، وسيبدءون فى إجراء الفحوص

الداخلية .. فحوص الأشعة السينية ، والموجات فوق الصوتية ، والأشعة المقطعية ، والرنين المغنطيسى ، وغيرها ..

المهم أننا لن نتوقف ، قبل أن نراجع أدق التفاصيل لدينا عن المقدم (نور) ، على ذلك الجسد ، ونحن نبذل قصارى جهدنا لإنجاز هذا ، قبل أن ..

بتر عبارته ، ولاذ بالصمت لحظة ، وكأنما يبحث عن التعبير المناسب ، ثم لم يلبث أن قال فى توتر :

ـ قبل أن يستيقظ !

سرت قشعريرة فى جسد القائد الأعلى ، وهو يهتف :

ـ يستيقظ ؟!

أومأ الدكتور (جلال) برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ بالطبع .. إنها ليست جثة ، كما أشرت فى البداية .. بل هى كيان حى ، فى حالة سبات اصطناعى مؤقت ، ومن الطبيعى أن تنتهى هذه الحالة فى أية لحظة ، فيستعيد وعيه .

تراجع القائد الأعلى فى مقعده ، وغمغم ، وكأنما لم يكن يتوقع هذا قط :

ـ يا إلهى ! .

أشار الدكتور (جلال) بيده ، قائلاً :

ـ يمكننا بالطبع أن نطيل فترة سباته الصناعى هذه ، ولكن الخبراء لم يحبذوا هذه الفكرة ؛ إذ إننا نرغب فى إيقاظه ، عندما ننتهى من إجراء كل الفحوص ؛ فربما قادنا استجوابه إلى كشف كل الغموض .

عضّ القائد الأعلى شفته السفلى ، وراح يهزّ رأسه ، فى محاولة لتفهُّم واستيعاب الموقف ، قبل أن يرفع رأسه إلى الدكتور (جلال) ، متسائلاً :

ـ هل تلقيت تلك الرسالة ؟!

أومأ الدكتور (جلال) برأسه إيجابًا مرة أخرى ، وغمغم :

ـ نعم .. ولكننى أشعر بقلق بالغ بشأنها .

أجابه القائد الأعلى فى صرامة :

ـ أنا أيضًا شعرت بهذا القلق ، ولكننى درست الأمر جيّدًا ، ووجدت أن أفضل ما نفعله .. بل وربما كانت فرصتنا الوحيدة ، هى أن ننفذ كل ما طلبوه .

تنهّد الدكتور (جلال) ، قائلاً :

ـ ولكن ماذا لو تسبَّب هذا فى خسارتنا لكل شىء .

التقى حاجبا القائد الأعلى بعض الوقت ، ثم قال فى صرامة :

ـ ألم تتخذ كل الإجراءات اللازمة ؟!

أجابه الدكتور (جلال) فى اقتضاب :

ـ بلى .

أجابه القائد الأعلى :

ـ نفذ ما طلبوه إذن .

تنهّد الدكتور (جلال) ، مغمغمًا :

ـ بالتأكيد .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى أتى صوت أحد الأطباء ، عبر جهاز الاتصال المحدود ، وهو يقول :

ـ نستعد الآن للفحص بالأشعة السينية .

اعتدل الدكتور (جلال) ، قائلاً فى حزم :

ـ على بركة الله .

قالها ، وتعلّق بصره ، وبصر القائد الأعلى ، بالشاشة ، التى تنقل ما يدور فى قسم الفحوص الطبية ، حيث أرقد الأطباء ذلك الجسد المجهول لـ (نور) الآخر على منضدة الفحص ، التى تحركت فوقها شاشة زيتية اللون ، حتى استقرّت فوق منطقة

الصدر والبطن منها ، ثم ضغط أحد الأطباء زر التشغيل ، وهو يرتدى معطفًا وقناعًا من الرصاص ، طبقًا للاحتياطات المعتادة (*)، وقال :

ـ الفحص بالأشعة السينية يبدأ الآن .

تألّقت الشاشة الفيروزية ، وبدا عليها رسم لما يحويه ذلك الجسد فى داخله أو ...

وفجأة ، فتح الراقد عينيه ..

ثم اعتدل بحركة حادة ..

ومع اعتداله المباغت ، تراجع كل الأطباء على نحو مذعور ، وهتف الدكتور (جلال) :

ـ رباه ! .. لقد استيقظ .

واستدار ذلك الشخص ، يتطلّع إلى آلة المراقبة ، التى تنقل صورته إلى حجرة القائد الأعلى ، وكأنما التقطت أذناه هتاف الدكتور (جلال) ..

ونقلت الشاشة صورة مكبّرة لوجهه ..

(*) موجات الأشعة السينية (أشعة X) تسبب للمتعرّض عددًا من الأمراض الإشعاعية ، على رأسها الأورام السرطانية وسرطان الدم ، وهى لا تخترق معدن الرصاص ، كغيرها من أنواع الأشعة الأخرى .

كانت ملامحه نسخة طبق الأصل من (نور) ..

ولكن ذلك الانفعال ، الذى ارتسم على وجهه ، لم يكن يتناسب قط مع شخصية (نور) ..

لقد كان انفعالاً يحمل الشر ..

كل الشر ..

وفى نفس اللحظة ، انطلق أزيز قوى ، من جهاز فحص الأشعة السينية ، وارتسمت على شاشة الكمبيوتر صورة لما تم التقاطه ، من أعماق ذلك الشخص ..

واتسعت عيون الجميع ، فى ذعر وذهول ..

فعلى الرغم من الخلايا التى تم فحصها ، ومن النتائج الإيجابية لفحص بصمات الأصابع ، والقزحية ، وحتى البصمة الجينية ، كان فحص الأشعة السينية يعكس صورة لا يمكن أن تتفق مع أى كائن بشرى طبيعى ..

صورة لمجموعة من الأجهزة الإليكترونية ، والدوائر الدقيقة للغاية ..

وبحركة حادة ، استدار الآلى شبيه (نور) ، يلقى نظرة على الصورة ، التى تم التقاطها لأعماقه ..

الصورة التى كشفت هويته الحقيقية ..

هويته كشخص آلى بيولوجى متطوّر ..

ولأن برنامجه شديد التطوُّر والتعقيد ، ويعتمد على درجة مرتفعة من الذكاء الصناعى المستقبلى ، فقد أدرك على الفور أن أمره قد انكشف ..

وأن المهمة ، التى جاء من أجلها ، أيًا كانت ، قد فشلت ، قبل أن تبدأ ..

لذا ، فقد تحرّك فى سرعة مدهشة ، فوثب من منضدة الفحص ، ولطم أقرب الأطباء إليه لطمة قوية ، ألقت المسكين ثلاثة أمتار إلى الخلف ، ثم انتزع ذراعًا معدنية ، من أقرب جهاز إليه ، وهوى به على رأس طبيب آخر ..

ووثب القائد الأعلى من مقعده ، هاتفًا :

ـ رجال الأمن .. أوقفوه .. أوقفوه بأى ثمن .

وإثر هتافه ، اندفع رجال الأمن إلى حجرة الفحص الطبى ، وارتفعت مسدساتهم الليزرية فى وجه ذلك الشخص ، الذى انقضّ عليهم بدوره ..

وانطلقت خيوط الأشعة ..

وارتطمت بجسده ..

وتمزّقت الخلايا الحية ، التى تغطى ذلك الجسد ..
وتناثرت الدماء فى كل مكان ..
ولكن هذا لم يوقفه ..
لقد واصل انقضاضته ، وضرب مسدس أحد الرجال ، بتلك الذراع المعدنية ، ثم هوى على رأسه بها ، واستدار يواجه الثانى ..
وقفز أحد رجال الأمن ، يركل جهاز الأشعة بكل قوته ..
ودارت شاشة الجهاز حول محورها ، مع عنف الضربة ..
وارتطمت برأس ذلك الشخص ..
وأسقطته أرضًا ..
ومع سقوطه ، انهالت عليه خيوط الأشعة من كل صوب ..
سيل من أشعة الليزر ، انهمر على الآلى البيولوجى كالمطر ، فتفجّر شىء ما خلف أذنه ..
وانبعثت شرارة قوية ، من جزء متمزّق فى قاعدة عنقه ..
وتفجّرت الدماء فى غزارة أكثر وأكثر ..

ولكن خيوط الليزر لم تتوقّف ..
لقد استمرّ انهمارها كالمطر ، والآلى يحاول النهوض فى صعوبة ..
ثم مال عنقه على نحو عجيب ، وارتطم بكتفه الأيسر ..
ومع الدفعة التالية من خيوط الأشعة ، سقط على ظهره كالحجر ، وانطلقت منه شرارات كهربية عنيفة ..
وعلى الرغم من أن كل شىء كان يؤكّد أن أمره قد انتهى ، واصل رجال الأمن غمره بأشعة مسدساتهم القاتلة لدقيقتين أخريين ، والقائد الأعلى يهتف ، عبر جهاز الاتصال فى مكتبه :
ـ أوقفوا إطلاق النار .. لقد انتهى الأمر .. لقد انتهى الأمر .
وأخيرًا ، أطاعه رجال الأمن ..
وتوقّف إطلاق النار ..
ولثانية أو ثانيتين ، راح الجميع يحدقون فى ذلك الشىء المسجى أمامهم ..
رجال الأمن ..

والأطباء ..

وحتى الدكتور (جلال) والقائد الأعلى ، من حجرة هذا الأخير ..

ثم فجأة ، اشتعلت النيران فى الجسم الآلى ..

اشتعلت فى كل جزء منه ، فى سرعة بالغة ، وراحت تلتهم الخلايا الحية المحيطة به ، ورائحة شواء مقزِّزة تنبعث منها ..

وإثر النيران والدخان ، انطلقت أجهزة الإطفاء الآلية تعمل ..

وخبت النيران ..

خبت ، بعد أن التهمت كل ما يمكن فحصه ، من ذلك الآلى البيولوجى ..

كالمعتاد ..

ومرة أخرى ، هبط صمت مهيب ، رهيب ، ثقيل على المكان ..

وحتى فى حجرة القائد الأعلى ..

وفى وقت واحد تقريبًا ، وبانفعال يصعب وصفه ، راح الجميع يحدقون فى تلك البقايا الذائبة المحترقة أمامهم ..

البقايا ، التى كانت منذ لحظات قليلة ، نسخة طبق الأصل ، من أشهر رجل مخابرات علمية فى العالم ..

البقايا ، التى ذابت واحترقت ، تاركة خلفها جبلاً من الغموض ، وسؤالاً بلا جواب ..

لماذا أتى بها شخص ما إلى حاضرنا ؟!

لماذا ؟!

لماذا ؟!

★ ★ ★

« (نشوى) .. عضو فريق (نور) ، وبصحبتى الدكتور (ممتاز) ، رئيس قسم الخلايا .. » .

نطقت (نشوى) العبارة ، عبر البوق الخاص بجهاز الفحص الأمنى ، عند مدخل المبنى الرئيسى ، لمركز الأبحاث العلمية ، فانبعث من الجهاز صوت آلى ، يقول :

ـ مرحبًا يا سيِّدة (نشوى) .. مرحبًا يا دكتور (ممتاز) .. فليقف كل منكما فوق أحد المربعات الزرقاء ، ويتطلَّع إلى الدائرة الحمراء أمامه مباشرة .

أطاعت (نشوى) الأمر ، وكذلك فعل ذلك الشخص ، وما إن وقفا فوق المربعين الأزرقين ، حتى انبعثت خيوط من أشعة الليزر ، من الدائرتين الحمراوين ،

وراحت تتحرك فوق جسديهما ، وتتراقص على قزحيتيهما ، فى سرعة ودقة مدروستين ..

وتم التقاط صور بصمات أصابعهما ، وقزحيتيهما ، وتوزيع مسامهما العرقية ، وراح كمبيوتر الأمن يراجع كل هذا على ما تم تسجيله فى بياناته الرئيسية ..

ولأن البيانات الحقيقية للدكتور (ممتاز) قد استبدلت بها - بوساطة (نشوى) نفسها - بيانات ذلك الشخص ، فقد انبعث ذلك الصوت الآلى ، يقول :

- تم التحقق من شخصيتيكما .. مرحبًا بكما فى مركز الأبحاث .

وانفتحت البوابة الرئيسية أمامهما ، فعبراها فى هدوء ، وما إن أُغْلِقَتْ خلفهما ، وبدءا سيرهما عبر ممر طويل ، حتى قال ذلك العدو ، فى سخرية متوترة :

- ألم أقل لك : إنك عبقرية الفريق ؟! لقد مرّ كل شىء بسلام تام .

قال فى عصبية :

- إننا لم نعبر سوى البوابة الرئيسية .. ما زالت أمامنا ثلاث بوابات أخرى ، قبل أن نبلغ قاعة الفحص الإلكيترونى .

قال فى صرامة :

- سنعبرها كلها ، وإلا ...

نطق كلمته الأخيرة ، وهو يرفع يده إليها ، مع تلك الكرة السوداء فى راحته ، فقالت فى حنق وحدّة :

- أعلم هذا .. أعلم هذا .

لم تواجههما أية صعوبات ، عند البوابتين التاليتين ، حتى أصبحا أمام بوابة قاعة الفحص الإليكترونى ، فسألته فى عصبية :

- أأنت واثق من أن مركبتك هنا ؟!

أجابها فى صرامة غارقة فى الانفعال :

- إنه المكان الوحيد ، الذى يمكن أن تنقلوها إليه .. ألم أقل لك : إننى قد درست كل ما يتعلق بكم ؟!

قالت فى عصبية :

- فليكن .. سندخل القاعة ، على مسئوليتك الشخصية .

ورفعت يدها لتضغط زر جهاز الأمن ، إلا أن أصابعه قبضت على معصمها فجأة ، وهو يقول فى حدة :

- انتظرى .

وشهقت (نشوى) ..

وانطلقت من حلقها آهة ألم مذعورة ..

فتلك الأصابع ، التى أحاطت بمعصمها ، كانت قوية كالفولاذ ..

وباردة كالثلج ..

وفى هلع ، حدّقت فى وجه خصمها ، هاتفة :

ـ ماذا حدث ؟! لقد أطعت أوامرك .

قال فى صرامة :

ـ سلى الكمبيوتر : هل القاعة خالية أم لا ؟!

قالت فى ألم :

ـ إنها خالية .. لقد تأكّدنا ، قبل أن ...

قاطعها فى صرامة مخيفة :

ـ تأكّدى مرة أخرى .

حاولت أن تنتزع معصمها من يده ، وهى تقول مرتجفة :

ـ سأفعل .. سأفعل .

ترك معصمها ، وهو يشير إلى الكمبيوتر الخاص بها ، فرفعته إليها ، وراحت تضغط أزراره فى عصبية ، وراجعت البيانات على شاشته ، قبل أن تقول :

ـ إنها خالية .

ألقى نظرة على البيانات بدوره ، قبل أن يقول :

ـ هيّا .

ضغطت زر الأمن ، وهى تقول بصوت مرتجف :

ـ (نشوى) .. عضو فريق (نور) ، والدكتور (ممتاز) ، رئيس قسم الخلايا .

ومرة أخرى ، خضع كلاهما لإجراءات الأمن المعقّدة ..

فحص بصمات الأصابع ..

وبصمة القزحية ..

وتوزيع المسام العرقية ..

وأخيرًا تلك الهوية الزائفة ، التى زوّدته بها (نشوى) ، عبر جهاز كمبيوتر خاص .

هوية تحمل اسم وصورة الدكتور (ممتاز) ..

وفى النهاية ، انبعث صوت آلى ، من جهاز الأمن ، يقول :

ـ مرحبًا بكما ، فى قاعة الفحص الإليكترونى .

وانفتحت البوّابة الكبيرة للقاعة ، لتكشف عن المركبة الزمنية ، التى استقرّت وسط القاعة الخالية ..

وفى بطء حذر ، دلف العدو الغامض إلى القاعة ، وراح يتلفت حوله فى توتر شديد ، وهو ينتزع كرة بلورية من حزامه ، ويمسك بها فى تحفز ..

وتبعته (نشوى) ، وهى تغمغم :

– الآن ، وقد بلغت هدفك .. لِمَ لا ...

قاطعها بإشارة صارمة من يده ، وهو يقول :

– اصمتى .

والتقى حاجباه على نحو عجيب ، فى حين انتصبت أذناه ، ثم راحتا تدوران حول محورهما ، على نحو جعل (نشوى) تحدق فيها ذاهلة مذعورة ، وقد خُيِّل إليها أنها تراقب ذئبًا يرهف السمع ، لكشف ما يحيط به ، وسط غابة كثة الأغصان(*).

وللمرة الثانية ، منذ التقت به ، لم يبد لها خصمها بشريًا على الإطلاق ..

كل شىء فى ملامحه ، كان يشبه البشر ..

(*) الأذن البشرية مزودة بأعصاب حركية ، تتيح لها أن تتحرك فى أى اتجاه ، ليرهف الإنسان سمعه ، ويركز بوق أذنه ، وتلك القدرة يمتلكها أى إنسان ، إلا أن عدم استخدامها ، فى ظل التطورات الحديثة ، جعلها تتراجع وتختفى ، وعلى الرغم من هذا فما زال البعض يمتلك هذه القدرة حتى الآن .

كل شىء ..

ولكن شيئًا ما ، فى طبيعته أو أعماقه ، جعلها تشعر أنه ليس كذلك ..

شىء لم تلتقطه عيناها ..

وإنما التقطته أعماقها ..

تلك الشفافية المدهشة ، التى تتمتع بها ، أدركت ما يخفيه ..

وبالذات فى تلك اللحظة ، وهو يتحرك فى حذر زائد ، متجهًا إلى مركبته الزمنية ، وعيناه وأذناه تتحركان فى كل الاتجاهات ..

حتى بلغ المركبة ..

ولثوان ، راح يتحسس جسمها الخارجى ، فى بطء وحذر زائدين ، ثم لم يلبث أن همهم بكلمات عجيبة ..

كلمات لم تفهم حرفًا واحدًا منها ..

ومع آخر تلك الكلمات ، ضغط زرًا فى حزامه ، فأضىء مصباح كبير ، أعلى باب مركبة الزمن ، تألقت معه عينا ذلك الشخص ، وهو يقول فى ظفر :

– إنها تعمل .

انتفض جسدها فى توتر زائد ، وقالت فى عصبية :

ـ أهذا ما كنت تسعى إليه ؟!

تألقت عيناه أكثر ، وهو يجيب :

ـ بالتأكيد .

لوّحت بذراعها ، قائلة فى حدّة :

ـ امنحنى ما أسعى إليه إذن .

أطلّت من عينيه نظرة ساخرة ، وهو يقول :

ـ ما تسعين إليه ؟!

أجابته فى عصبية :

ـ نعم يا هذا .. أريد المادة المضادة ؛ لإيقاظ ابنى ، وجهاز التفجير الـ ...

قاطعها فى سخرية شرسة :

ـ المادة المضادة ؟!

ثم انطلقت من حلقه صرخة عالية مجلجلة ، هوى معها قلبها بين قدميها ، قبل أن يقول فى صرامة :

ـ هل تعلمين ما الذى يمكن أن يحدث ، لـو منحتك تلك المـادة المضـادة ، بعد أن محوت أثرهـا من كل ما لديكم ؟! إنك ، وبكل بساطة ، لن تستخدميها لإيقاظ ابنك فحسب ، وإنما لإسعاف الجميع .. الفريق كله .. هل تصوّرت أننى ساذج وغبى إلى هذا الحد .

أجابته فى حدّة :

ـ سنتوصّل إلى تلك المادة المضادة ، إن عاجلاً أو آجلاً .

قهقه ضاحكًا مرة أخرى ، وهو يقول :

ـ وحتى لـو عجزتم عن هذا ، سيستعيد الجميع قدرتهم على الحركة ، خلال أسبوع على الأكثر ، عندما يزول كل أثر للمادة الأساسية من الدم .

غمغمت مبهوتة :

ـ حقًا ؟!

ثم استطردت فى حدة :

ـ أعطنى جهاز التفجير هذا إذن .

قال فى سخرية :

ـ جهاز التفجير ؟! هـل تعنين أن أعود من حيث أتيت ، دون أن أظفر بأحدكم .

صرخت :

ـ أيها الحقير .. لقد فعلت كل ما طلبته !

أجابها فى شراسة :

ـ كان هذا لطيفًا منك للغاية .. سأضيفه إلى ما كتبه تاريخكم عنكم .. سأكتب أننى جعلتك تفعلين كل

ما أردت ، ثم نسفت رأسك ، وسحقت ابنك فى لحظة واحدة .

اتسعت عيناها فى ذعر ، وهى تهتف :

ـ لا .. لن يمكنك أن تفعل هذا .

تألقت عيناه فى وحشية عجيبة ، وهو يقول :

ـ حقًا ؟! اسمحى لى إذن بإثبات العكس تمامًا .. دعينا نُجر تعديلاً بسيطًا على الخطة .. سأضغط المفجِّر أولاً ، لأسحق ابنك سحقًا ، وبعد أن أتأكد من أن قلبك قد انفطر من أجله ، سأريحك من عذابك ، وأنسف رأسك بكل بساطة .

صرخت بكل ذعر الدنيا :

ـ لا .. إلا (محمود) .

أطلق ضحكة وحشية أخرى ، قبل أن يرفع يده ، قائلاً :

ـ قولى وداعًا لولدك الوحيد يا عبقرية الفريق .

ومع آخر حروف كلماته ، ضغط الكرة السوداء .. بكل قوته ..

وشراسته ..

وانتصاره .

★ ★ ★

تألقت عيناه فى وحشيه عجيبة ، وهو يقول :
ـ حقًا ؟؟ اسمحى لى إذن بإثبات العكس تمامًا ..

٩ ـ الختـــام ..

لم يكد الدكتور (ياسر) يوقف سيارته ، أمام إدارة الاتصالات الفضائية ، فى تلك الساعة المبكرة من الصباح ، التى لم تكد تشرق فيها الشمس ، حتى وثب منها فى عُجالة ، وألقى التحية على حارس المبنى فى توتر ، قبل أن يسأله :

ـ أهم بالداخل ؟!

أجابه الحارس ، وهو يفسح أمامه الطريق :

ـ الجميع بالداخل .

لم يبد على الدكتور (ياسر) أنه قد سمعه ..

أو أنه يهتم حتى بسماع الجواب ، فأكمل الحارس لنفسه :

ـ فى هذه الساعة المبكرة .

ثم هزّ كتفيه ، وكأنما الأمر لا يعنيه ، وعاد يتطلّع إلى الشفق ، وإلى قرص الشمس الأحمر الكبير ..

أما الدكتور (ياسر) ، فقد اتجه مباشرة إلى حجرة رئيس الإدارة ، التى اجتمع فيها كل علماء الإدارة

تقريبًا ، يراجعون لوحة كبيرة أمامهم ، وما إن لمحه أولهم ، حتى هتف فى توتر كبير .

ـ لماذا تأخّرت يا رجل ؟! إننا نحتاج لخبرتك فى هذا الأمر .

أجابه الدكتور (ياسر) ، وهو يتجه إلى اللوحة فى لهفة :

ـ لقد هرعت إلى هنا فور اتصالكم .. أخبرونى .. هل التقطتم إشارة جديدة حقًا ؟!

أشار رئيسه إلى اللوحة أمامه ، وهو يجيب :

ـ ما رأيك أنت ؟!

لم يجب (ياسر) ، ولم ينبس أحد من الآخرين ببنت شفة ، وهم يراقبونه فى اهتمام ، وهو يفحص الإشارات مرة ، وثانية ، وثالثة ، قبل أن يرفع عينيه إليهم ، قائلاً فى اضطراب :

ـ إنها إشارة منتظمة بالفعل .

ثم تنحنح ، مضيفًا :

ـ وهى ليست منعكسة .

سأله رئيسه فى توتر :

ـ هل تعنى أن هذه الإشارة واردة من الفضاء بالفعل ؟!

أومأ الرجل برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ ومن نجم بعيد أيضًا .

قال رئيسه فى انفعال :

ـ وكيف أمكنك تحديد هذا ؟!!

هزّ الدكتور (ياسر) كتفيه ، وهو يجيب :

ـ هذا يرتبط بطول الموجة ، وتلك الترددات الصغرى حولها ، وهذا المنحنى الذى ..

قاطعه رئيسه فى انفعال :

ـ المهم أنك واثق مما تقول .

تنحنح الدكتور (ياسر) ، قائلاً :

ـ كان هذا موضوع رسالة الدكتوراة الخاصة بى ، عندما ..

قاطعه رئيسه مرة أخرى ، وكأنما ليس لديه الوقت ، للدخول فى العديد من التفاصيل :

ـ وماذا عن فحواها ؟!

حدّق الدكتور (ياسر) فى وجهه لحظة ، وكأنما يستنكر السؤال ، قبل أن يقول :

ـ هذا يحتاج إلى بعض الوقت .

سأله رئيسه بنفاد صبر :

ـ كم من الوقت ؟!

هزّ كتفيه فى حيرة ، فغمغم أحد زملائه :

ـ سينجزها فى أسرع وقت ممكن .. إنه عبقرى فى هذا المضمار .

دفع رئيسهم اللوحة نحو الدكتور (ياسر) ، وهو يقول :

ـ حسن .. ابذل قصارى جهدك إذن .

التقط (ياسر) اللوحة ، وهو يغمغم فى اهتمام :

ـ سأفعل .

هتف رئيسه :

ـ وفى أسرع وقت .

ارتسمت ابتسامة مرتبكة ، على شفتى الدكتور (ياسر) ، وهو يحمل اللوحة ، قائلاً فى خفوت :

ـ بإذن الله ..

وغادر الحجرة مع فريق من زملائه ، فيما عدا واحدًا منهم ، بقى فى حجرة الرئيس ، الذى قال فى عصبية :

ـ إنها مصيبة .. لا يمكننا أن نحتمل محاولة غزو فضائى آخر .

قال الرجل ، محاولاً تهدئته :

ـ ليست لدينا أية مؤشرات ، توحى بأنها محاولة غزو فضائى آخر .. إنها مجرّد إشارات ، لم يتمّ تفسيرها بعد .

غمغم رئيسه :

ـ لا بد أن نفترض الأسوأ .

ثم زفر بكل ما فى صدره من مشاعر وانفعالات ، قبل أن يضيف :

ـ على الأقل ، ستكون لدينا عندئذ فرصة للمقاومة .

نطقها ، وكل خلية فى جسده ترتجف ..

كل خلية ..

بلا استثناء ..

★ ★ ★

بكل قوته ، ضغط العدو الغامض تلك الكرة السوداء فى راحته ..

بلا تردُّد ..

أو رحمة ..

وبكل ذعرها ، صرخت (نشوى) ، وهتفت باسم ابنها ، و ..

« اطمئنى يا (نشوى) .. إنه بخير .. »

انطلقت العبارة فجأة ، من ركن القاعة ، فانتفض جسد (نشوى) فى قوة ، واستدارت إلى مصدرها فى لهفة ، هاتفة .

ـ حقًا ؟!

وانعقد حاجبا العدو فى شدة ، عندما برز (نور) من خلف مائدة فحص كبيرة ، وهو يحمل مسدسه الليزرى ، قائلاً :

ـ نعم يا (نشوى) .. لقد أنقذناه ، واستخدمنا نفس المادة المضادة ، التى أدليت بتركيبتها ، تحت تأثير التنويم المغنطيسى ، قبل أن تذهبى لمقابلة هذا الوغد .. نفس المادة التى أعادتنا إلى ما كنا عليه ..

أطل غضب الدنيا من وجه العدو وصوته ، وهو يلتفت إليها ، قائلاً :

ـ إذن فقد فعلتِها .. خدعتنى أيتها الحقيرة .

وارتفعت كرته القاتلة نحوها فى سرعة ، وهو يصرخ :

ـ وستدفعين حياتك ثمنًا لهذا .

قبل أن يضغط الكرة ، دوّى صوت طلق نارى فى القاعة ، وانطلقت صرخة قوية من حلق العدو ،

عندما أصابت رصاصة صائبة كرته ، وأطاحت بها بعيدًا ، مع صوت (أكرم) ، وهو يقول :

ـ ألم تسمع أيها الغبى .. لقد أعادتنا المادة المضادة جميعًا .

أدار العدو عينيه فى سرعة عصبية إلى (أكرم) ، الذى برز من ركن آخر من القاعة ، حاملاً مسدسه التقليدى ، وغضب الدنيا يرتسم على ملامحه ، وقبل أن يحدّق فيه ، سمع صوت (سلوى) ، من ركن ثالث ، تقول :

ـ و (محمود) الصغير يجلس الآن آمنًا ، مع اثنين من أقوى رجال أمن الإدارة ، داخل حجرة خاصة عازلة ، لا تنفذ إليها أية نوعية من الموجات أو الإشارات ، مهما بلغت قوتها .

نقل العدو بصره بين ثلاثتهم ، فى عصبية بالغة ، قبل أن يهتف :

ـ أين خامسكم إذن ؟! ألم يستعد وعيه مثلكم ؟!

أشار (نور) بسبّابته إلى آلة المراقبة ، قائلاً :

ـ إنه هناك ، فى مكتب القائد الأعلى ، ليراقبك معه ، ومع الدكتور (جلال) ، فى محاولة لتحليل شخصيتك ، ودراسة كل ردود أفعالك .

نقل بصره بينهم مرة أخرى ، فى نفس الوقت ، الذى ارتفع فيه صوت القائد الأعلى ، عبر أجهزة الاتصال الداخلية ، وهو يقول :

ـ أهنئك يا (نور) .. لقد انتصر فريقك فى عملية أخرى .

هتف العدو فى سخرية :

ـ انتصر ؟! إنكم لم تنتصروا بعد يا هذا .. حتى ولو حاصرتمونى من كل الجهات .

قال (أكرم) فى صرامة :

ـ كفاك مكابرة يا هذا .. اعترف بهزيمتك .

انطلقت قهقهة عالية مجلجلة ، من بين شفتى العدو الغامض ، وهو يقول ساخرًا فى شراسة :

ـ هزيمتى ؟! لن يمكنكم هزيمتى أبدًا أيها السادة .. هذا أمر يفوق قدراتكم وإدارتكم بكثير .

ثم انعقد حاجباه فى شراسة مخيفة ، وهو يضيف :

ـ بل على العكس .. نحن الذين سنهزمكم .. سندحركم دحرًا .. كل ما بنيتموه من حضارة وتقدُّم سيزول بضربة واحدة .

وارتفعت قبضته تلوّح فى الهواء ، مع صرخته المجنونة :

ـ نحن سننتصر فى النهاية .

سأله (نور) فى توتر :

ـ ومن أنتم بالضبط ؟!

قهقه العدو ساخرًا مرة أخرى ، وقال فى شراسة :

ـ من نحن ؟! يا له من سؤال ؟! الزمن وحده سيجعلك تعرف من نحن يا هذا .. اللحظة التى سينتهى فيها تاريخكم ويبدأ تاريخنا ، ستجعل الكون كله يعلم من نحن .

ثم أشار إلى (نور) فى غضب وحشى ، مستطردًا :

ـ حتى مقاومتك العنيفة لن تجدى ، ما دمنا قد استولينا على مركبتكم الزمنية .. كل الزمن أصبح فى قبضتنا ..

ودارت عيناه فى وجوههم على نحو رهيب ، وهو يتابع :

ـ حتى لو فشلنا فى تحطيمكم فى هذا الزمن ، سينطلق فريق آخر إلى زمن آخر .. ربما نسعى لقتلكم فى مهودكم .. أو حتى قتل آبائكم وأمهاتكم ، قبل أن تولدوا .. بل ربما نسعى إلى بدء التاريخ ، وننسف جذوركم الأولى .

وارتفعت ذراعاه فى الهواء ، وهو يصرخ :

ـ لن تهزمونا أبدًا .

هتف (أكرم) فى عصبية ، وهو يسدد مسدسه إليه :

ـ ما الذى يقوله هذا الوغد يا (نور) ؟!

أجابه (نور) فى توتر بالغ :

ـ ألم تفهم بعد يا (أكرم) ؟! هذا الواقف أمامك ليس مستقبليًا فحسب .. إنه غير آدمى أيضًا .

حدق (أكرم) فى ذلك الشخص فى ذهول ، وهو يردد :

ـ غير آدمى .

أجابه (نور) فى حزم :

ـ نعم يا (أكرم) .. غير آدمى .. إنه واحد من جنس فضائى آخر ، سعى لغزو الأرض ، وواجه مقاومة عنيفة ، يقودها فريقنا على الأرجح .. مقاومة هددت بفشل الغزو ، مما قاد الغزاة إلى وضع هذه الخطة الجهنمية .

انعقد حاجبا العدو الغامض ، وهو يستمع إليه فى انتباه واهتمام شديدين ، فتابع (نور) :

ـ قاتل محترف لديهم ، يعود إلى زمننا ، ويصنع لغزًا غامضًا ، يثير حيرتنا وارتباكنا ، ومن خلال هذا ،

وفى أثناء انشغال الجميع باللغز الزائف ، ومع سقوطنا جميعًا صرعى ذلك الشلل العجيب ، يتم الانتقال إلى الجزء الرئيسى من الخطة .

غمغمت (سلوى) :

ـ قتلنا جميعًا .

هزّ رأسه نفيًا ، وقال :

ـ كلاّ .. إنهم يدركون أن مصرعنا قد يؤدى إلى ظهور فريق آخر ، قد يكون أكثر قوة وحنكة ، لذا فقد قرّروا تجنيدنا لحسابهم .. أو بمعنى أدق ، تجنيدى أنا ، كبطل سابق للمقاومة ، مع تاريخى المعروف فى مقاومة الغزاة السابقين .. لقد قرّروا أن أعمل لحسابهم ، وأقود الأرض كلها إلى الهلاك ، والكل يتصوّر أننى أمضى بهم إلى النصر .

سألته (سلوى) فى دهشة كبيرة :

ـ ولكنهم يعرفون كل شىء عنا يا (نور) ، ويعلمون جيّدًا أنه من المستحيل أن تخون وطنك وعالمك ، مهما كانت الأسباب ، ومهما كان الثمن .

أشار بسبّابته ، قائلاً :

ـ من سيقود العالم إلى هوة الهلاك لن يكون أنا فعليًا يا (سلوى) .. بل سيكون ذلك البديل الآلى البيولوجى ، الذى أحضره من زمنه ، والذى علمنا كل ما فعله هناك ، فى قاعة الفحص الطبى ، فى أثناء قدومنا إلى هنا .

هتف (أكرم) :

ـ آه .. إذن فهذا هو الغرض من إحضار نسخة طبق الأصل منك يا (نور) .

أجابه (نور) :

ـ بالضبط .. فقبل أن يعود إلى عالمه ، كان سيظفر بى ، على نحو أو آخر ، ليحلّ ذلك الآلى البيولوجى محلّى .. ومن المؤكّد أن أحدًا لم يكن لينتبه إلى هذا ، وحتى لو ارتكب بديلى أية أخطاء ، سيعزوها الجميع إلى الحالة التى أصابتنى ، من جراء ذلك العقار المجهول .

قال (أكرم) فى عصبية :

ـ ولكن حالتنا العادية كانت ستؤكّد أنك وحدك .. أعنى بديلك وحده هو الذى يرتكب الأخطاء .

هز (نور) رأسه ، قائلاً :

ـ لو سارت خطته على ما يُرام ، لما أصبح لكم وجود هنا .

اتسعت عينا (سلوى) فى هلع ، فى حين هتف (أكرم) فى غضب :

ـ كان سيقتلنا إذن ؟! يا للوغد !

هتف العدو فى غضب :

ـ استنتاج عبقرى أيها الأرضى .. إنك لم تختلف كثيرًا عما ستصبح عليه فى المستقبل .. لقد أدركت الحقائق كلها بمهارة مدهشة .

ثم مال إلى الأمام ، مستطردًا قى وحشية :

ـ ولكن هذا لا يعنى أنك ستنتصر ..

قال (نور) فى هدوء عجيب :

ـ هل تعتقد هذا ؟!

لوّح العدو بذراعيه فى الهواء ، هاتفًا :

ـ قلت لكم : إن التاريخ كله فى قبضتنا .. الزمن كله ملكنا ، و ...

قاطعه (نور) فى صرامة :

ـ وماذا لو فقدتم هذا السلاح الخطير ؟!

انعقد حاجباه ، وهو يتساءل :

ـ ومن سيفعل هذا ؟!

هزّ (نور) كتفيه ، قائلاً :

ـ عودتك إلى هنا ، وكل ما فعلته ، نبهنا إلى ما ستواجهه الأرض فى المستقبل ، وجعلنا ندرك أن آلة الزمن ، التى نسعى لاختراعها ، ستكون هى السلاح الذى سيتسبّب فى هزيمتنا ، فهل تعتقد أننا سنواصل صنعها تحت هذه الظروف ؟!

اتسعت عينا العدو ، وهو يتساءل فى توتر :

ـ ماذا تعنى ؟!

أجابه (نور) فى حزم :

ـ أعنى أن مركبة الزمن ، التى نسعى لإنتاجها ، مجرّد فكرة وردت من المستقبل ، بعد محاولة الغزو على الأرجح ، ولقد كنا نسابق الزمن ، لإنتاجها فى حاضرنا ، أما الآن ، فسنقوم بتدمير كل ما لدينا من وثائق وتصميمات ومعلومات ، عن مركبة الزمن ، وهذا يعنى أننا لن ننتج مثلها .. ليس خلال السنوات القادمة على الأقل .. لذا فلن تعثروا على أى أثر لها ، عندما تسعون لغزونا ، ولن يكون بإمكانكم السيطرة عليها ، أو على التاريخ .

ثم صوّب مسدسه الليزرى إليه ، مستطردًا :

- وسيظلّ تاريخنا ملكًا لنا ، ولن يعبث به أحد .

ران على القاعة صمت رهيب ، بعد أن انتهى (نور) من عبارته ، ثم لم يلبث ذلك الفضائى أن قطعه ، قائلاً :

- فكرة عبقرية ، ولكنها فاشلة تمامًا .

هتف به (أكرم) :

- كيف أيها الوغد ؟!

أجابه ، وهو يضغط زرًا فى حزامه :

- لأننى سأعود بآلة الزمن هذه إلى عالمى .

وعلى الرغم من أن العلماء قد تأكّدوا مرتين ، من أنهم قد عزلوا مصادر الطاقة الرئيسية عن المركبة ، إلا أن آلاتها انطلقت تعمل على الفور ، مع ضغطة الزر .

وفى مكتبه ، هتف القائد الأعلى :

- ربّاه ! كان هناك مصدر طاقة خفى .. أوقفه يا (نور) .. أوقفه قبل أن يقلع بالمركبة ، عائدًا إلى عالمه .. أوقفه بأى ثمن .

أطلق (نور) أشعة مسدسه نحو ذلك العدو مرة .. وثانية .. وثالثة ..

وفى كل مرة ، كان ذلك العدو يختفى بغتة ، قبل أن تبلغه الأشعة ، ثم يعود إلى الظهور فى موقع آخر ، وهو يقهقه ضاحكًا ، ويقول :

- لن يمكنك إصابتى أبدًا أيها العبقرى .. إنها خاصية نادرة ، كنت أدخرها للنهاية .. القفز عشوائيًا ، من نقطة زمنية إلى أخرى .. إنه تطوير قمنا به نحن ، بحيث لا يمكن أن يصيبنا قنّاص ، مهما بلغت براعته .

قالها ، وهو يستعد للصعود إلى مركبة الزمن ، مستطردًا :

- لقد خسرتم أيها العباقرة ، وسأعود إليكم مرة أخرى ، و ...

قاطعه (أكرم) فى صرامة :

- مهلاً أيها الوغد .. إننى لم أطلق رصاصتى بعد .

التفت إليه العدو ، قائلاً فى سخرية :

- رصاصتك ؟! هل تتصوّر أن رصاصتك ستكون أسرع من أشعة الليزر ؟! هراء ..

هزّ (أكرم) كتفيه ، قائلاً :

ـ ربما كان هذا صحيحًا ، بالنسبة لأية رصاصة عادية ، ولكن رصاصتى هذه تختلف .

قال العدو فى سخرية :

ـ فيم ؟!

أجابه (أكرم) ، وهو يصوّب مسدسه إليه :

ـ تختلف فى أنها قذيفة خاصة ، من تلك القذائف ، التى فتّحت عيون علمائنا على تطويرها .. قذيفة معدّة بحيث تتعقّب بصمة جينية بعينها .

قهقه العدو ساخرًا ، وهو يقول :

ـ صحيح أن تركيبى الجينى لا يختلف عنكم كثيرًا ، ولكن من أين لك الحصول على بصمتى الجينية ؟!

ابتسم (أكرم) فى تحدّ ، وهو يقول :

ـ عجبًا ! هل نسيت دماءك ، التى تناثرت على وجهى فى المستشفى ؟!

اتسعت عينا العدو فى ارتياع ، واستعاد فى ذاكرته تلك اللحظة ، وأدركت عقليته المتطوّرة أن (أكرم) على حق ..

لقد تناثرت دماؤه فى المستشفى ..

وسيحوى سائلها بصمته الجينية حتمًا ، و ...

« الوداع أيها الوغد .. » .

نطقها (أكرم) ، ليقطع سيل أفكار خصمه ، وهو يضغط زناد مسدسه بكل قوته ..

وصرخ الفضائى ، وهو يضغط زرًا فى حزامه :

ـ لا .

ومع ضغطة الزر ، وثب جسده عبر فجوات زمنية مختلفة ..

ولكن الرصاصة الموجّهة تعقبته ..

وأصابته ..

وأمام عيون الجميع ، انفجرت الرصاصة فى صدره ، واقتلعته من موضعه ، ليرتطم بجسم المركبة الزمنية فى عنف ، ثم يرتدّ عنها فى قوة ، ليسقط جثة هامدة ، عند قدمى (نور) ..

وعلى الرغم من بغضه الغريزى للقتل والتدمير ، لم ينبس (نور) ببنت شفة ، وهو يخفض عينيه ، ليلقى نظرة على جثة خصمه ..

بل ولم يشعر بأى حزن أو شفقة ..

وكذلك كل الآخرين ..

هذا لأنهم جميعًا كانوا يدركون ، دون أدنى شك أن تلك الرصاصة ، كانت الوسيلة الوحيدة المتاحة ، لإنقاذ مستقبل الأرض من غزو رهيب ..

غزو لا أحد يدرى متى سيحمل إلى الأرض لهيبه ؟!

لهيب الخطر ..

والرعب .

★ ★ ★

[تمت بحمد الله]

لهيب الرعب

- ما سر ذلك الشخص ، الذى يسعى للقضاء على (نور) وفريقه ؟!
- كيف يمكن أن تواجه (نشوى) وحدها خطر وقوة ذلك الجاسوس المجهول ؟!
- ترى هل تواجه الأرض محاولة غزو فضائى آخر ، أم أنه هناك سر يكمن فى (لهيب الرعب) ؟!
- اقرأ التفاصيل المثيرة ، وقاتل مع (نور) وفريقه .. من أجل الأرض ..

العدد القادم : طريق النجوم

د. نبيل فاروق

ملف المستقبل

سلسلة روايات بوليسية الشباب من الخيال العلمى

126

الثمن فى مصر ٢٠٠ وما يعادله بالدولار الأمريكى فى سائر الدول العربية والعالم

مطابع دار الهلال